



Marwa Rakha's
Free Publishing Services

کيو او

زمانان لني حائر

ياسر هدهد اسماعيل

www.hotamr.com

زمانان لنبي حائر

شعر

ياسر إسماعيل

"على معبرِ الأزمنة

تفرُّ الجيادُ من العرَبِ

دويُّ السَّيِّاطِ يُمزِّقُها..

فتفرُّ تجاهَ الحدودِ البعيدة"

فَلِمَنْ أَدَمَتْ مَشَاعِرَهُ سَيَّاطُ حُودِيَّةِ الْمَجْنُونِ، وَ مَنْ يَرِيدُ أَنْ يَعْبُرَ حُدُودَ عَالَمِهِ شَوْقًا وَ

عنادًا، لا هَرَبًا وَ فَرَعًا، أَهْدِيهِ هَذَا الدِّيوانَ عَلَّه يُعِينُنِي عَلَى مَشَقَّةِ الرَّحِيلِ.

ياسر

تصميم الغلاف : عمرو الشامي

مراجعة لغوية : عبد الرحمن والي

غرناطة

عَلَى مَعْبَرِ الْأَزْمِنَةِ
تَفِرُّ الْجِيَادُ مِنَ الْعَرَبَةِ
دَوِي السَّيِّاطِ يُمَزَّقُهَا ...
فَتَفِرُّ تَجَاهَ الْحُدُودِ الْبَعِيدَةِ ...
لَيْلٌ ... فَفَجْرٌ
فَرِيحُ الصَّبَاحِ تُعَانِقُ أَعْنَاقَهَا ...
فَتَحُبُّ، تَمُدُّ النَّوَاصِي بِشَوْقِ الْحَيَاةِ الْجَدِيدَةِ
تَفُكُّ شِكَايِمَهَا ثُمَّ تَمْضِي ..
تَدُوسُ السُّرُوجَ ..
تَفِرُّ لـ "غَرْنَاطَةَ" الْيَوْمِ كُلِّ الْجِيَادِ الْجَرِيحَةِ ..
قَبْلَ الرَّحِيلِ .. تُحَمِّجُمُ لِلرَّيْحِ أَنْ يَا رِيَا حُذِينَا ..
لِمَدِّ الْفَوَارِسِ ..
قَبْلَ امِّحَاءِ الْبِلَادِ .. اصْدُقِينَا
وَحُدِّي الْحُدُودَا
بِوَارِجِ "ذَاتِ الْعِمَادِ" تُحَاصِرُنَا/ أَضْحَتِ الْفُلُوتُ سُودَدًا/ وَكُلُّ
الدَّرُوبِ مُعَاكِسَةً/ وَالْحُلُولُ مُغَايِرَةً/ وَالْجُسُورُ مُدْمَرَةٌ/ وَالْبِحَارُ
مُسَجَّرَةٌ/ وَالشُّعُوبُ مُسَافِرَةٌ/ لِلنَّهَائَةِ ...
نَعْلَمُ أَنَّ الْمَلَا حِمَّ فَرَضٌ،

ونحنُ لها فخذينا ... أبعدنا عن الحرسِ الملكيِّ / وظلُّ المتاحفِ / عن
صرخاتِ الرِّعاعِ / وقاعِ المدينةِ ... جاءَ الزمانُ الذي فيه يبقى
القرارُ وليسَ الفرارُ / البحارُ وراءَ أعنتنا / ومدانا النهارُ / وفُرسائنا
صبيبةٌ بعثوا من عرارِ الحصارِ / وريحُ كتلكَ التي تمتطينا ستبقى ...
وتحرقُ نارُ الجوسِ الجوسَ ...
وتهدمُ "ذاتَ العِمادِ" العِمادُ
وتبَّلَعُ أفعى اليبابِ بنيتها
ويبقى لـ "غرناطة" القصرُ
حين يلوحُ بأحلامها
سوف تبقى
ويبقى لـ "غرناطة" الحلمُ ...
في نبضنا سوف يبقى
رماذُ بنيتها / الدروبُ / الديارُ / ستبعثُ من دمننا فوقَ أرضِ الملاحمِ
من دمننا سوف تبقى

نوفمبر ٢٠٠٠

ظُلٌّ وَشَمْسٌ

(الربُّ يَعِدُ : "حقُّ علينا

لكن... يا من تعشقهم

لن أهلكهم إلا إن تأذن "

و"أرميا" - نبيُّ من تبعثروا كالحبِّ الفاسدِ - واقفٌ بيطنِ الجبلِ
الرهيبِ

فِي الضُّحَى، وَالشَّمْسُ تُجَمِّدُ الرِّيحَ وَالشَّجَرَ، وَالظَّلَالُ تُنْصِتُ لِمَا
يُوحَى إِلَيْهِ، يَأُوبُ... مُتَعَثِّرًا فِي أَسْمَالِهِ، وَالشَّمْسُ تُؤَكِّدُ النُّبُوَّةَ)

أُغْنِي لِمَنْ يَنْبِدُونِي

غِنَاءًا شَجِيًّا كَمَا عَيُونِي

بِشَلَالِ نَوْرٍ ...

تَرْفُ الْبِحَارُ مَرَاكِبَ صَوْتِي

أَخِيفُ ...

يُطَوِّقُ خَصَرَ السَّحَابِ صَمْتِي

وَأَدْخِلُ دَيْمُومَةً لِلشُّجُونِ

أُغْنِي لِمَنْ دَاسَ فَوْقَ ضُلُوعِي

لِشَعْبٍ فَرَشَتْ لَهُ مَرَقَدًا فِي جُفُونِي

وَحِينَ أَحَاطَ الظَّلَامُ اغْتَرَبْتُ ... جُنْتُ ...
ارْتَمَيْتُ بِحُضْنِ اللّٰهِيْبِ ...
فَكَانَ النَّهَارُ صَنِيعَ جَنُوْنِي

(يَدْخُلُ "نُبُوْحَذَنْصَرَّ"، وَرِيْحٌ مَسْمُوْمَةٌ عَلٰى يَدِهِ، وَبَوْمَةٌ عَلٰى يَدِهِ
الْآخَرِي، يَسْأَلُ "أَرْمِيَا" الرَّبَّ: "كَيْفَ وَقَلْبِي لَمْ يَأْذَنْ عَلَيْهِمَ")

عَلٰى "أَوْرَشِيْلِمَ" سَابِكِي،
وَأَبْكِي الطُّلُوْلُ
لَعَلَّ الدَّمُوْعَ تُمِيْتُ الحِرَائِقُ
لَعَلَّ رَضِيْعًا يَرَانِي
فِيْبِكِي عَلٰى أُمَّهِ المِيْتَةُ
وَيَحْبُو عَلٰى الدَّرْبِ فَرْدًا
كصمتي ...
كشمعِ الذَّهْوُلُ
تُزَفُّ السَّبَايَا
وَنَفْسِي تُقَاتِلُ نَفْسِي
أَنَا مَنْ يُحَامِي
أَنَا مَنْ يُحَاكِمُ

أَنَا مَنْ قُتِلُ
وَعَدْتُ وَأَخْلَفْتُ ... لَا
بَلْ بِنَفْسِي تَبَارَزَ ظِلُّ الْقِرَابَةِ ...
وَوَهَجُ الْعَدَالَةِ

(يَقُولُ الرَّبُّ: "قَلْبُكَ لَمْ يَأْذَنْ، وَلَكِنَّ نَوْرَنَا الَّذِي وَضَعْنَا فِيكَ
شَاءَ، تَذَكَّرْ وَاحْزَنْ، ثُمَّ ائْسَ، وَأَقِمَّ شَعْبَكَ فِي نَفْسِكَ")

لشعبي صعدت ...
صعدت بشعبي،
وأوسعت للغرباءِ مدائنَ قلبي
وكان الغروبُ وشيكا
وريحُ تزومٍ على عتباتِ البلادِ
تدسُّ الترابَ،
فيلسعُ أجلادهمُ
ويرسبُ فوقَ الحناجرِ
وكانوا يُنادونني
مررتُ عليهم بكفي الدفيئة

غَفَوْتُ طَوِيلًا لِأَحْلَمَ ...
يَنْسَلُّ نُورٌ رَقِيقٌ مِنَ النَّافِذَةِ
أُعَانِقُ نَفْسِي
أَطِيبُ رُوحِي بِأَسْئَلَةٍ مِنْ نَدَى
وَأَلْبَسُ نَعْلِي الْمَشْبَعَ بِالطَّرُقَاتِ الْغَرِيبَةِ كَالسَّرِّ وَسَطَ مِيَادِينِ هَذَا
الزَّمَانِ

وَأَذْهَنُ جِلْدِي بِشَمْسٍ
سَتَخْرُجُ مِنْ إصْبَعِي
فَتُضِيءُ الْمَكَانَ

وَأَصْرُخُ فِي النَّاسِ:
هَلُمُّوا إِلَيَّ، أَنَا قَدْ سَكَّرْتُ بِفَيْضِ الْهَوَى
وَرَأَيْتُ

تَجَسَّدْتُ فِي شُرْفَةٍ
فَوْقَ سُوقِ الْمَدِينَةِ
أَعَايِنُ نَفْسِي بِمَرَاتِكُمْ
هَلُمُّوا، فَهَاكُمْ جَنَاحِي
سَيَعْلُو بِأُظْلَالِهِ فَوْقَكُمْ

إِلَيْكُمْ بُرْكَانَ نَارِي
سَيَعْدُو مَشَاعًا
لِمَنْ سَوْفَ يُرْخِصُ ثَلَجَ الذَّهَبِ
وَيَسْمُو لَوْهَجِ مَنَارِي
وَهَاكُمْ مِزْلَاجِ دَارِي
وَهَاكُمْ عَبَاءَةَ جَدِّي
وَسَيْفَ أَبِي
وَمِعْزَلَ أُمِّي
وَكَفَّ حَبِيْبَةَ قَلْبِي الْبَعِيْدَةَ
وَضِحْكَةَ طِفْلِي الَّذِي لَمْ أَرَهُ

(عَلَى طَرْفِ اللِّسَانِ، تَقِفُ الْكَلِمَةُ مُنْدَهَشَةً، كَوَلِيدٍ يُعَايِنُ الْحَيَاةَ،
تَهْزُهُ يَدُ الْقَابِلَةِ، فَيَصْرُخُ، تُجَفِّفُ الشَّمْسُ جِلْدَهُ الْمُنْدَى، وَيُحَاوِلُ
أَلَا يَنْسَى سِرَّهُ الَّذِي كَانَ يَرَعَاهُ وَسَطَ الْكَهْفِ الْمُظْلِمِ)

فِيَا رُوْحِي الْكَسِيْرَةَ
يَا دُمُوْعَ الْفَرْحِ
يَا اللّٰهُ
يَا سِرًّا مُطَوَّقَةً بِهٖ عَيْنِي

أَسِيرٌ عَلَى الرُّكَامِ ...

أَشْفُ

يَبْرُزُ هَيْكَلِي الْعَظْمِيِّ ...

أَسْئَلِي تَرْقُ

أَمُدُّ أَيْدِي الْكَشْفِ فِي أَشْيَائِي الْيَوْمِيَةِ الْفَجَّةِ

فَتَخْرُجُ مِنْ مَجَاهِلِهَا بِلُؤْلُؤَةٍ

(عَلَى طَرْفِ اللِّسَانِ تَقِفُ الْكَلِمَةُ مُنْدَهَشَةً، يَلْتَمِعُ: يَا اللَّهُ، هَاكَ
لُؤْلُؤَتِي، فَفَجَّرَهَا بِالْكََلِمَةِ الْمُعْجِزَةِ)

رَأَيْتُ بَعَيْنِي كَوَأْبِسَهُمْ

وَقُلْتُ لَعَلِّي سَأَصْحُو

فَرَكَتُ عُيُونِي

دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ كَالرِّيحِ

أَشْهَرْتُ صَوْتِي كَطَبَلِ الْحُرُوبِ

زَرَعْتُ رِمَاحِي بِأَكْتَاْفِهِمْ،

ثُمَّ صِرْتُ نِدَاءً شَجِيًّا يَنْدُوبُ عَلَى نَائِي تَوْقِي ...

لَأَنْ يَنْصَتُوا

وَقُلْتُ سَأَصْحُو

رَأَيْتُ دِمَائِي تَفُورُ بِأَقْدَاحِ سُكْرِ النَّدَامَى
وَزَهْرِي،

وَأُورَاقَ عُمْرِي،

وَطَبْلِي وَنَائِي،

بِيَاحَةِ سَوْقٍ كَبِيرَةٍ

لِمَنْ يَشْتَرِيهَا كَذِكْرِي لِعَائِبٍ

تُرَانِي إِذْ قَدْ وَعَدْتُ وَأَخْلَفْتُ ...

أَمْ قَدْ تَبَخَّرَ ظِلُّ الْقَرَابَةِ ...

بِوَهْجِ الْعَدَالَةِ

(يَجِيءُ "بُؤُخَذُنُصْرٌ"، وَأَسْرَابٌ مِنَ الْمَعْدَنِ وَمِنَ النَّارِ، وَتَفْزَعُ

يِمَامَةٌ عَلَى أَنَامِلِكِ، وَتَصْحُو ... فَزَعًا، وَتَصْحُو ...)

سُيُوفٌ، مَشَاعِلُ

وَأَبْنِيَةٌ تَتَسَانَدُ أَجْسَامُهَا الْمُتْرَبَةَ

تَبَعَثَ قَوْمِي

وَجَاءَتْ مِنَ الْمَوْتِ أَشْلَائِي الْمُحْرَمَةُ

أَزْفُ زَوَاجِي مِنَ الْمَاءِ

مِنْ خَفَقَاتِ الْهَوَاءِ،

وَأَرْقُبُ نَبْضِي يَعُودُ
وَأَسْمَعُ أُغْنِيَّتِي فِي فِضَاءِ الصَّحَارِي
أُحَطِّطُ فَوْقَ الرِّمَالِ ...
مَلَامِحَ طِفْلِ الْمُحَالِ ...
الَّذِي سَيَجِيءُ

...

١٩٩١

دورة الشمس

- تقديم -

طَلَقَةٌ وَأَثِيرٌ
وَاحْتِمَالٌ انْتِحَارِ الْفَرَاشِ ...
وَيَوْمٌ جَدِيدٌ
وَعَلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ الْكَوْنُ مُضْطَجِعٌ ...
فِي بُرُودٍ.

رُبَّمَا كَانَ حَتْمًا رَحِيلِي،
وَأُغْنِيَّتِي لَمْ تَزَلْ فِي الْمَخَاضِ
وَحُلْمِي مُحَاوَلَةً لَاعْتِلَاءِ السُّدُودِ ...
كَانَ حَتْمًا عَلَيَّ التَّشَرُّدُ بَيْنَ الْبُحُورِ وَزَهْوِ الْقَوَافِي، ارْتِجَافُ
الشِّرَاعِ،
وَمَرَكَبَتِي لَا تَحُلُّ بِمَائِي
وَتَأْبَى مُغَادِرَةً لِلْبَعِيدِ

بِرَاعِمُ قَلْبِي عَلَى الْأَرْضِ،
تَنْبِشُ دَاخِلَ جَوْفِ التَّرَابِ،

تَمُدُّ الْجُدُورَ،
وَيَمْتَشِقُ الْجِدْعُ مُنْدَهَشًا فِي طُفُولَةٍ
وَأَنْزَفُ دَمْعَ الْحُقُولِ الْبَرِيئَةِ فَوْقَ السُّطُورِ،
وَيَبْدَأُ طَلْقُ النَّشِيدِ
صُرَاخُ الْوِلَادَةِ يَصْنُجُ عَبْرَ الصَّحَارِي
وَمُطْلَقُ رُوحِي دَفِيءٌ
كَجِلْدِ الْوَلِيدِ الرَّقِيقِ،
وَأَسْئَلِي رِحْلَةً فَوْقَ جِسْرِ الْحَدِيدِ

مشهد (١)

صُراخُ الولادَةِ،
جُرْحُ الأفقِ
فراشٌ سَيَبزُغُ مِنْ آهتِي ...
وَيَحومُ
وَعَيْنِي تُنادِي مَداها التُّحومُ
وَمَا كانَ حُلماً، وَلَكِنْ ...
رَأيتُ الحَيَاةَ بِعَيْنِ الفَراشِ
وَطَرْتُ بِجَوْفِ اللَّيالي
فَأصَغْتُ إِلَيَّ النجومُ
وَقالتُ لِتَعْرِجِ
وَلَجْتُ، وَغَبْتُ،
رَأيتُ أناساً عِراءَ يَسِرونَ فَوْقَ دِمَاهِمُ
وَدَمَعٌ كَقَطْرِ الندى يَتَحَدَّرُ فَوْقَ لِحاهِمُ
وَأجسادُهُم ناحِلَةٌ ...
تَشُفُّ عَنِ العَظْمِ ...
صَوْتُ الأَينِ، صَدَى خَطوهِم بِدُرُوبِ الفِضاءِ يَهيمُ
وَلما سَألتُ، صُعِقْتُ، انتَبهتُ

فَمَدُّوا الْأَيْدِيَ لِرُوحِي

نَزَفْتُ كَثِيرًا

وَصِرْتُ شُعَاعًا عَظِيمَ الْأَلَمِ

يَمُدُّ الْجَنَاحِينَ عَبْرَ حُدُودِ الزَّمَانِ،

الْمَكَانِ

يَزِيحُ الْغُبَارَ عَنِ الْقُمَّمِ الْمُسْتَحِيلِ

وَيَغْسِلُ أَرْيَاشَهُ بِالنَّدَى

وَيَقُومُ

مشهد (٢)

فُرْجَةٌ وَمَسَارٌ
وَالْحُرُوفُ انْتِظَارٌ
الْمَرَايَا تَضُجُّ بِأُمْنِيَّتِي الْمُطْلَقَةَ ...
وَالْقَصِيدُ انْتِحَارٌ
كَلَّمَا بَرَقَتْ فِي الْفَضَاءِ عَصَافِيرُ حُلْمِي ...
وَذَابَتْ بِبَحْرِ الْمَدَى أُغْنِيَاتِي ...
وَفَرَّ الْمَدَارُ

كَلَّمَا كَانَتْ الْخُطْوَةُ الْمُسْتَحِيلَةَ وَاحِدَةً
وَالْأَشْعَةُ شَمْسًا تَمُوتُ بِقَاعِ الْمُحِيطِ
وَيَبْقَى الْمَغِيبُ ...

القصيدُ انتحارُ
كَلَّمَا كَانَ عُمْرِي دَقَائِقَ آفَلَةٍ
وَيَدَايَ مَدَى لِلصَّيْبِ

القصيدُ انتحار
كُلَّمَا كُنْتُ مُنْكَفِئًا دَاخِلِي
وَفُؤَادِي كَمِزْوَلَةِ الْوَقْتِ ...
يَفْرُغُ مِنْ دَمِهِ فِي أَطْرَادِ كَثِيبٍ

القصيدُ انتحاري أَنَا
حِينَ أُعْلِنُ دُسْتُورَ رَأْسِي
أَوْلَفُ شَعْبِي ...
وَأُسْكِنُهُ فِي خَلَائِي ...
ثُمَّ أَرَى مِنْ خِلَالِ الْحُشُودِ ...
وِلَادَةَ ضَوْءِ النَّهَارِ

مشهد (٣)

أَعْرِفُكَ

حِينَمَا حَانَ وَقْتُ الْأُفُولِ تَرَكَتُ الْقَمَرَ
حِينَ غَابَ تَبَاكَتْ عَلَيْهِ السَّمَاءُ ...

تَسَاقَطَ فِي غَوْرِهَا أَلْفُ نَجْمٍ،
وَكُنْتُ عَلَى شُرْفَةِ الْفَجْرِ مُنْتَظِرًا

أَعْرِفُكَ

تَبْزُغِينَ امْرَأَةً

تَبْزُغِينَ احْتِمَالَ الطُّفُولَةِ ...

لثَغَّةَ أَغْنِيَتِي، وَاشْتِعَالَ الْبُكَاءِ، وَصَدْرًا لِسَوْسَنَةٍ مِنْ نَدَى

أَعْرِفُكَ

وَأُحِبُّكَ

أَرْضِعُكَ الْيَوْمَ مَاءَ الْعُيُونِ، دَلَالَةَ صَمْتِي، ضَرَاوَةَ صَدْرِي، وَدِفَاءَ

أَنَامِلِ سَمْتِي ... وَوَهْجَ الرَّدَى

أَشْعِلُكَ

وَأَعْمِدُ شَمْسِي الْمَلِيكَةَ ...

أَفْنَى بَدْرَةَ تَاجِكِ ...

قُبَّةٌ فَرَحِكِ ...

تَطغِينِ حُسْنًا

أُنَادِيكِ

يَصْعَقُنِي بِهَرِّ صُبْحِكِ

تَلْفَحُ خَطْوِي الرِّمَالُ بِصَحْرَائِكَ الجَرْدَةَ

تُنَكِّرِينَ، تَدَلِّينَ

آتِي بِرِيشِ الرِّحِيلِ،

عَسَى أَنْ أُطِيرَ ...

لِكُلِّ البِلَادِ الَّتِي تَعْرِفِينَ ...

وَكُلِّ المَرَاعِي الَّتِي تُدْفَعِينَ

فِي البِدَايَةِ أَنْكَرَ أَهْلِي صَنِيعِي

وَقَالُوا: "يَذُوبُ الجَنَاحُ وَتَهْوِي صَرِيحَ مُحَاوَلَةٍ مُتْرَفَةٍ

كُنْ مَثِيلًا لَنَا فِي الحَنِينِ لِقَرِيبَتِنَا، لِلحُقُولِ، وَجَنَّتِنَا الوَارِفَةِ"

فِي الصَّبَاحِ أَخَذْتُ أُطِيرُ

بَعِيدًا عَنِ الغَيْمَةِ المَدْنِفَةِ

والأراضي التي تتوارى وراء قبور المدينة
جاء مخاض النهار بلاذا تفور ...

بحاراً تُعانق ضوئي

على عتبات الحقيقة

حلت دمائي بسملة الرفرفة

مشهد (٤)

أَعُودُ إِلَى قَرِيَّتِي مُتَرَعًّا بِالرَّحِيقِ
عَلَى صَهْوَةِ الشَّمْسِ
تُرْسِلُنِي ثُمَّ تَمْضِي بِمَغْرِبِهَا شَيْخَةً نَازِفَةً
أَعُودُ إِلَى قَرِيَّتِي ...
حَيْثُ أَهْلِي يُقِيمُونَ نُصْبَ الْعَزَاءِ ...
وَيَنْعُونَ حُمَّقِي
وَحَيْثُ أَعُودُ شَفِيفًا،
وَمِلْءُ يَدِي جَمْرَةَ الْمَعْرِفَةِ

الخضر

"الخِضْرُ" يَأْتِي إِذْ نَسِيرُ لَا نَرَى فِي الْأُفُقِ غَيْرَ غَيْمَةٍ مُغِيرَةٍ
وَتُصْبِحُ انْتِكَاسَةَ الْعُيُونِ سَرْمَدًا
وَخُطْوَةَ الطَّرِيقِ بَدَدًا
أَجْسَادُنَا مَصْلُوبَةٌ فَوْقَ الْبِيَارِقِ الْمَزِينَةِ
يُرْقَبْنَا وَيَيْتَسِمُ
يُطْلِعُنَا عَلَى جُرُوحِهِ الْأَثِيرَةِ
يَقُولُ صَمْتُهُ :
"أَنْتُمْ أَنَا"

أَغِيبُ كَيْ تُكَابِدُوا مَسَافَةَ الْغِيَابِ ،
وَتَلْبَثُوا هُنَا
أَعُودُ كَيْ تُسَافِرُوا عَبْرَ بِلَادٍ مِنْ نُبُوعَتِي "

"الخِضْرُ" يَعْبُرُ الْمُحِيطَ عَارِيًّا
يَمُدُّ مِعْوَلَهُ
تَحْتَ الْبُورِجِ الْمُسَافِرَةِ
بِعِزْمِهِ يَدُقُّ ...
كَيْ يَسِيلَ نَفْطُهَا
وَتُصْبِحُ الرَّجْفَةُ فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ ...

ثورة دافئة ...

ومقبرة

"الخضر" يقتل غلامي الجميل

يكن له،

حين يزجر القطار ...

للسعوب كي تسافر ...

وسط الجليد للسراب

يخبئ الشيخ سلاحه الشحيد خلف ظهره

يقبل الغلام ...

ثم يذبحة.

حين يزجر القطار ...

يختلط الضباب ...

بالجليد ...

بالدخان.

يعترك الصفيير ...

والبكاء ...

وَالصِّيَاحُ

يُعَانِقُ الدَّمَّ القَضِيبَ وَالْحَصَى .

فِي آخِرِ الزَّمَانِ

يُعَانِقُ "الحِضْرُ" الصَّحَارِي

كَيَّ يَسْتَبِينَ عَالَمُهُ

يَبْنِي جِدَارًا عَالِيًا

يَرَسُمُ فَوْقَهُ خَرِيطَةً مِنَ الأَلْوَانِ كُلِّهَا

يَفْهَمُنَا، يَفْهَمُ نَفْسَهُ،

لَا نَفْهَمُهُ

لَكِنَّا نَرَاهُ فِي المَنَامِ

أَوْ فِي شُعَاعِ يَشْطُرُ الغَمَامَ ...

كَيَّ نُعَانِقُهُ

١٩٩٤

براقٌ وصخرةٌ مَطْمُورَةٌ

... وَرُوحِي فِي بَسَاطِ الْمَهْجَرَةِ الْأَلْفِ
عَلَى صَدْرٍ يَتَّعَنُ بِهِ
عَلَى كَفٍّ سَيَّسَعُ الْفَضَاءَ لَهُ
وَيَحْمِلُ كُلَّ حِنْطَةِ ذَلِكَ الْوَادِي
... وَإِيقَاعَ الْقُلُوبِ عَلَى مُبَايَعَةٍ بِحِطِّينَا
وَرَايَاتِ الْمُوَالِينَا
لِكُلِّ طِفْوَلَةٍ تَصْحُو عَلَى كَفِّي
... وَأَيْمَانًا مُسَبَّقَةً
بِأَنَّ شُجَيْرَةً تَأَقَّتْ لِحُضْنِ الْأَرْضِ ...
مَالَ الْغُصْنِ نَحْوَ الشَّرْقِ
أَنَّ مُسَافِرًا بِالْبَابِ قَدْ مَجَّ الْحَنِينَ، الصَّمْتَ
وَأَنْبَلَجَتْ عَلَى قَدَمَيْهِ أَمْيَالٌ مِنَ الشَّظْفِ

أَكْفَانُنَا فِي الزَّهْوِ قَدْ عَرَفْتُ
مَلَائِكَةً مُحِيطِينَ
وَزَلْزَالًا غَشَى النَّاعِينَ،
فَاكِهَةً عَلَى يَقْطِينَ وَادِينَا

مُفَجَّرَةٌ

سُدُودُ الْقَلْبِ فَوْقَ مَآذِنِ التَّارِيخِ

تُعِيدُ نُبُوءَةَ التَّارِيخِ

وَتَمْضِي فِي مَرَآكِبِنَا الْكِتَابَاتُ

مُحَبَّرَةٌ

عَلَى زَيْتُونَةٍ فِي كَفِّ رِحَالِ

لِرُوحِي آيَةٌ أُخْرَى

بِسُورَةِ طَائِرِ الْفَرَحِ

يَطِيرُ إِلَى بُرَاقِ مَدِينَةٍ حَبَلَتْ

وَرَجَرَاجَ بَطْنِهَا وَلَدَّ

وَقَدْ حَبَلَتْ، وَقَدْ حَبَلَتْ

حَبِييَ قَالَ لِلْأَوْجَاعِ تَمْلِكُنِي

وَتَنْحِتُنِي

جَنِينًا، صَوْتَ سُنْبُلَةٍ، وَرِيحًا مَاطِرًا فَوْهَا

وَتَحْوِينِي

فَصَاحَ مُهَاجِرٌ بِالْبَابِ أَنَّ الْجُرْحَ مُنْطَلَقٌ

أَنَا مَنْ غَامَرَ اللَّيْلَةَ
فَجَاءَ النُّورُ مِنْ عَدَمٍ
لِيَلْتَمَّ فِي الدُّجَى يَدُهُ

أَنَا مَنْ قَالَ لِلْأَوْجَاعِ ...
غَدًا أَدْعُوكِ عُنْوَانًا
وَأُورَاقًا لِمَجْرُوحٍ يَرَى غَدَهُ
وَكَيًّا فَوْقَ سَاعِدِهِ
وَرُكْنًا كَانَ وَاعَدَهُ
بِشَارَةِ طِفْلِهِ الْأَوَّلِ
إِذَا مَا السَّعْيُ خَلْفَ قَوَافِلِ الْأَسْفَارِ يُبْعِدُهُ
أَنَا مَنْ جَوَّدَ الْقُرْآنَ،
حُلْمًا كَانَ مَسْجِدَهُ
وَكَانَ طُقُوسَ إِشْرَاقٍ،
وَسَيِّدَهُ

وَقُلْتُ لِأَحْرَفٍ بِكُرٍ
أَتَتْكَ إِذَا طَرِيقَةٌ مَن سِيْتَعِبُكَ
وَيَطْلِي صَخْرَةَ الْإِبْهَارِ مَن سِيْمِيَاءِ حُرْمَتِكَ

وَقُلْتُ سِيْنَزَحُ الْمَسْجُونُ نَحْوَ الْمَهْجَرِ الْأَوَّلِ
إِذَا مَا طَوْلُ بَاعٍ، عُمُقُ بَاعٍ، كَانَ يَلْحِدُهُ
فِيَا أُمِّي ...

غُرُوبُ الْحَرْبِ صَارَ شُرُوقَ آخِرَتِي
أَنْيرِي شَمْعَةً بِالْعُرْفَةِ الْوَسْنَى
وَعُودِي صَمْتَهَا الْوَاهِي بِأَغْنِيَتِي

بعد الطوفان

مُرْتَدِيًا عَبَاءَةً بَيضَاءَ مِنْ نَسِيحِ قَلْبِهِ
عَيْنَاهُ تَذَرَعُ الرَّبِّي وَتَسْأَلُ
الشَّاعِرُ الْأَخِيرُ فِي الْوُجُودِ
يَصْرُخُ فِي الْبَرِّيَةِ الْجَرْدَاءِ ...
فِي أُخْيَلَةِ الْآلِ ...

وَفِي الطُّيُورِ لَا .. لَا تَرَحَّلُوا
يَصْرُخُ تَحْتَ ضَوْءِ شَمْسِ الْمَغْرِبِ الْكَسِيرِ
- إِذْ يُعَاوِدُ انْتِحَارَهُ وَيَأْفَلُ - :

لَا تَقْتُلُونِي هَذِهِ اللَّيْلَةَ أَرْجُو كُمْ ...
فَمَا زَالَ النِّشِيدُ

مَا زَالَ فِي الرُّوحِ الْأَسِيرَةِ الْجَوَادُ يَصْهَلُ
مَا زَالَ ذَلِكَ الْبُرَاقُ الْمُشْتَهَى فِي اللَّيْلِ يَرْتَدِي عَبَاءَةَ الرَّوَى
وَمَا تَزَالُ فِي الْمَدَى السَّجِينِ كُوَّةٌ لِطَائِرِ السَّمَاءِ ...

لَا نِتْصَارِ دَمْعَةَ الْأُمِّ
بِوَجْنَةِ الْعَلِيلِ حِينَ يَيْئَسُ الطَّبِيبُ
حِينَ يُدْبِرُ الْعَوَّادُ
يُؤْنِسُهُ مِصْبَاحُ غُرْفَتِهِ
وَطَائِرُ يَحْطُ مُجْهَدًا مِنَ السَّفَرِ

يُنْقَرُ فَوْقَ شُرْفَتِهِ
وَمَا تَزَالُ سَجْدَةً مِنَ النَّدَمِ
فِي بَطْنِ حُوتِ الْيَأْسِ
فِي غِيَابِ الظُّلْمِ
لِكُلِّ مَنْ يَقُومُ ...
يَفْتَحُ الشِّبَاكَ كِي يَرَى
يُعَانِقُ الْمَدَى بِمُقْلَتِهِ
وَيَرْتَقِي بِأَهَةِ الْبَيْنِ ...
لِمُطَلِّقٍ مِنَ الصُّرَاخِ،
وَلَا حَتِّضَانَ بَعْضِنَا ...
بِقَرِيَّةٍ دَمَّرَهَا سَيْلُ الْعَرَمِ

الرؤيا

أَفْرَعُ مِنْ رُؤْيَايَ
وَأَسِيرُ خِلَالَ الْجَوِ الْمُصْمَتِ
رَأْسِي تَحْتَ شُعَاعِ الْمَاءِ
يَخْرُجُ وَهَجًا
أَتَنَاوَلُ مِنْ صُنْدُوقِ الذِّكْرِى فُرْشَاءً
أُشْعِلُهَا
أَطْلِي بِالْجَذْوَةِ حَيْطَانَ الْحُجْرَةِ
أَجْتَهِدُ لِكَيْ يَظْهَرَ رَسْمُ جَنَاحِ
أَفْشَلُ فِي رَسْمِي
لَكِنَّ النَّارَ تَطِيرُ
حِينَئِذٍ أُخْرِجُ قَلْبِي
مَنْفِيًّا مِنْ أَرْضِ الْقَحْطِ
وَأُرْسِلُهُ لِلرِّيحِ
لِيَخْرُجَ مُزْدَانًا بِالرِّيشِ
كَعُصْفُورٍ أبيضَ سَوْفٍ يُيَمِّمُ شَطْرَ الشَّمْسِ
يَطْعَنُ بِالصَّدْحِ الْبَرِّيِّ السُّحْبَ السُّودَاءَ
وَيَلْهَثُ مُنْتَشِيًّا فِي مِعْرَاجِهِ
يَجْتَازُ سَمَاءًا فَوْقَ سَمَاءٍ

فِطَام

قلتُ لهم

- لَمَّا سَرَى فِي الْغَابَةِ الْفَحِيحُ - :

يَا لثَغَةَ الْجُرْحِ النَّدِيَّةِ

أَعْطِيكُمْ الْآنَ الْوَصِيَّةَ ...

مَرَكَبَنَا ضَرِيحُ

وَدَهْرُكُمْ بِحَجْمِ مَا يَنَالُ قَلْبُكُمْ

مِنْ قِمَّةِ الثَّارِ الْعَصِيَّةِ ...

يَا فَرَحَةَ الْأَكْوَانِ فِي قِيَامَةِ الْأَحْزَانِ

هَذِي هِيَ الْقَضِيَّةُ ...

أَبُوكُمْ الْجَرِيحُ ...

يَدُورُ فِي الْمَيْدَانِ

يَتَرَفُّ حَوْلَ زَهْرَةٍ بَرِيَّةِ

وَالنَّاسُ قُدُّوا مِنْ رُخَامِ

بَالَتْ عَلَى جَبِينِهِمْ حَمَامَةُ الْحُرِّيَّةِ الذَّرِيَّةِ !

أَعْطِيكُمْ الْآنَ الْوَصِيَّةَ

طَازِجَةً وَقْتَ مَخَاضِ زَوْجَتِي

طَازِجَةً ... لَكِنَّهَا سَرِيَّةٌ ...

"مَرَكَبْنَا ضَرِيحُ
وَنَهَرْنَا صَرِيحُ - يَمْتَدُّ فِي أَنَامِلِ الْإِلَهْ -"

أُعْطِيكُمْ الْأُورَاقَ كُلَّهَا
يُفُورُ حَبْرُهَا
فَأَخْرِجُوا تَارِيخَ مَوْلِدِي

أُعْطِيكُمْ الزُّهُورُ
تَحَلَّلْتُ بِكَفِّ شَحَاذِ ضَرِيرُ
لِتَخْلِطُوا الْعُطُورَ فِي قُنْبُلَةِ رَضِيعَةٍ
أُعْطِيكُمْ الْخِيَامُ
لِتَنْسَجُوا عَلَى الْوَبْرِ
أَنَامِلَ الْعَذْرَاءِ إِذْ تَحْنُو عَلَى غُلَامِهَا

أُعْطِيكُمْ الْمِفْتَاحُ
فَدَمِّرُوا عَنَاكِبَ الْأُحْجِيَّةِ

وتبقى سُنْبلة أخيرة

سُنْبَلَةُ الْأَمِّ

أَقَشَّرُ السُّنْبَلَةَ الْأُولَى كَيْ أَبْكِي وَكَيْ أُقْرِ
الشَّارِعَ الْمُظْلَمَ سِرًّا
يَصْلُبُنِي فِيهِ شُعَاعُ تَبَرٍّ

أَفْتَحُ قَلْبَ صَاحِبِي
نُقْضُمُ حَبَّةً تَيَبَّسَتْ خِلَالَ سَبْعِ
نُعَلِّقُ الْأَوْرَاقَ فِي الْمَطَرِ
نَهْمِسُ فِي رُوحِ الْقُرَى وَطِينَهَا
أَنْ تَبْرُقَ الصُّورَ

أَمَامَ أَقْصَى ذَبْحَةٍ مِنَ الْوَجَعِ

سُنْبِلَةُ الصَّلَاةِ

أَقُولُ لِلصَّحْرَاءِ كُونِي قِبَلْتِي
تَرُدُّنِي وَتَتَّحِبُّ:
"قَدْ شَرَدَ الْجَمَلُ
وَخُطُوَةُ الْحَادِي أَصَابَهَا الْوَجَلُ
وَنَجْمُنَا الْبَعِيدُ قَدْ أَفْلُ"

سُنْبِلَةُ الضُّحَى

تَسْرَبُ الشِّتَاءُ فِي مَفَاصِلِ الدُّهُورِ،
وَفِي شُرُوحِ النَّافِذَةِ
يُطِلُّ مِنْ عُرُوقِهَا فَتَى صَغِيرُ
مُرَاوِحًا بَيْنَ الْقُنُوطِ وَالِدُعَاءِ
يُظَلِّلُ الْمَسَاءُ بِسَمْتِهِ
تُبَلِّلُ الْأَمْطَارُ رَاحَتَهُ ...
إِذْ يَبْسُطُ الْيَدَيْنِ فِي انْفِرَاجَةِ السَّمَاءِ

... ..

سنبله الغريب

بِحَلَقِهِ نُبُوءَةٌ
يَسِيرُ فِي الزَّحَامِ مُنْكَرًا
حَتَّى يُطِلَّ مِنْ عَذَابِهِ الْهَلَالَ
يُلَامِسُ الْبَحْرَ فَيَنْتَشِي
يَمْشِي عَلَى مِيَاهِ غُرْبَتِهِ
فَتَنْتَشِي بِقَاعِهَا الرَّمَالَ

سنبله الطائر

تَجِفُّ فَوْقَ مَلْمَسِ الْحَدِيدِ فَوْرَةُ الدِّمَاءِ
سَحَابَةٌ مِنَ الْغُبَارِ
حِصَانُهُ الْمَبْقُورُ
رَائِحَةُ الْمَوْتِ تُظِلُّ الْمَكَانَ
وَجِسْمُهُ كَبِدْرَةٍ بِرَحْمِ أُمِّهِ الْوَطْنَ
وَشَامَةٌ بِوَجْهِهِ كَكَلِمَةِ السِّرِّ ...
كَبَدْنِ خَلْقِهِ
تَوَلَّدَ الْمَزِيحُ
فَقَرَّرَ الشَّهِيدُ رَاضِيًا
أَنْ يُوَلَّدَ الْعُصْفُورُ

سُنْبَلَةُ الْمَنْظَرِ الْآخِرِ مِنَ الْجَبَلِ

ضَوْءٌ بِمَهْدِهِ
كَفُّ تُلَاحِقُ الشُّمُوسَ فِي الْغُرُوبِ
تَمْسِكُ جَمْرَةَ النُّشُورِ
وَتَنْثُرُ الْبُدُورَ فَوْقَ كَفَنِ الشَّهِيدِ

١٩٨٨

وَصِيَّة

أهَيْلُوا التُّرَابَ عَلَيَّ
وَلَا تَجْزَعُوا مِنْ سُكُونِ التُّرْبِ
فَقَطْ فَلْتَدُسُّوا نُقُودًا لِمُقْرِي "يس"
وَابْكُوا قَلِيلًا، وَلَا تَصْرُخُوا
كِي أَجِيبَ سُؤَالَ الْمَلَائِكِ بَعْضِ الْخُشُوعِ
وَبَعْضِ الرَّهَبِ ...

وَعُودُوا إِلَى شَأْنِكُمْ
ثُمَّ نَامُوا عَلَى فَرَشِكُمْ آمِنِينَ ...
فَمَا عَادَ صَوْتُ نَشَازٍ سَيَخْرُجُ فِي حَيِّكُمْ
كِي يُشَاكِسَ جَوْقَ الطَّرْبِ

وَلَا تَقْتُلُونِي بِمَصَلِ الطَّبِيبِ
بِجَلْطَةِ سَاقِي وَقَلْبِي
بِحَبْرِ جَرَائِدِكُمْ، وَأَنَاشِيدِكُمْ ...
وَائْتِمَامِكُمْ خَلْفَ صَوْتِي وَأَنْتُمْ جُنُبٌ

فقط خَلَّصُونِي بِمُدَّتِكُمْ،
سَمِّمُوا نَصْلَهَا، وَلَا جَلِيَّ اشْحَدُوا حَدَّهَا،
أَحْسِنُوا ذُبْحَتِي
وَسَيَّاتِي الْمَلَائِكُ سَرِيعًا،
فَمُنْذُ بَدَايَةِ رِحْلَتِنَا وَهُوَ يَرْقُبُنِي عَنْ كَثَبٍ

جِيَادِي الَّتِي أُسْرِجَتْ عِنْدَ بَدْءِ الْعَوَاصِفِ فِي الْفَجْرِ
تَاهَتْ قُبَيْلَ الْغُرُوبِ،
اِحْتَوَاهَا الشُّعَاعُ الْأَخِيرُ
وَأَسْلَمَتِ الرُّوحَ ...
ذَابَ الصَّهِيلُ بِقَلْبِي
وَسِرْتُ بِدَرْبِي وَحِيدًا بِلا وَجْهَةٍ أَوْ أَرَبٍ

سَيُسْنَدُ هَذَا السُّتَارُ
وَيَنْصَرِفُ النَّاسُ عَكْسَ خُطَايَ
رَمَيْتُ السَّلَامَ الْأَخِيرَ عَلَى شَجَرِ الدَّرْبِ
وَظَلِّي يُرَاقِصُ شَمْسَ الْغُرُوبِ
وَخَطُّ الْمَلَائِكِ اقْتَرَبَ

فَلَا تُطَلِّقُوا خَيْلَكُمْ فِي الْجَنَازَةِ
تَكْفِي لِحَمْلِي يَدٌ أَوْ يَدَانِ تَضْرَجَتَا بِدِمَائِي
وَلَا تَضَعُوا فَوْقَ قَبْرِي أَكَالِيلَكُمْ
فَرَمَادِي سَيُنْبِتُ فَوْقَ الْمَقَابِرِ زَهْرَ الْغَضَبِ ...

رَحِيلِي شُمُوسٌ سَتُشْرِقُ فِي أَلْقِ الْمَوْتِ ...
عَيْدٌ لِرُوحِ تُهَاجِرٍ ظَمَأَى
بَعِيدًا عَنِ السَّجْنِ - دَاخِلَ جِسْمِ بَرَاهِ النَّصَبِ
لِذَا فَدَعُونِي أَنْادِمُ رُوحِي بِنَخْبِ الرَّحِيلِ
وَقَدْ حَفَّ كَأْسَ الْمَنَايَا الْحَبَبِ

فبراير ٢٠٠١

أحمل جمرة الحياة

(بَعْدَمَا اخْتَطَفَتِ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ "فاوست" مِنْ قَبْضَةِ "مفستوفيلس"
أَنشَدُوا:-)

لَتَخْرُجَ وَحِيدًا
كَنَهْرٍ يَمُوتُ وَيُبْعَثُ فِي الْبَحْرِ
يُبْعَثُ فِي غَيْمَةٍ
أَوْ بَعِيثٍ يَزْفُ الْحَيَاةَ لِنَخْلِ الصَّحَارِي

كَذَا قَدْ خَرَجْتَ ...
أَوْرَدُ الْقُبُورِ تُرَى أَنْجَبِكَ؟
أَدْمَعَةٌ عَدِرَاءَ مَسَّتْ تُرَابًا
فَكَانَ وَكُنْتَ؟
وُلِدْتَ فَلَا أَبَّ لَكَ
تَبَارَكَ رَبُّكَ إِذْ أَفْرَدَكَ
بِغَضَبَةٍ مَارِدٍ
وَوَجْهِهِ مَلَكٍ

(في إحدى الليالي الوحيدة كظله، واجه "فاوست" حائطه الدخاني
لأول مرة)

جَمَاجِمُ تُبْتَسِمُ الْآنَ لِي
حَوَائِطُ تُرْسِمُ أَنْفُسَهَا
ثُمَّ تَقْبَعُ فَوْقَ الْقُلُوبِ الْوَحِيدَةَ
سَتَائِرُهَا فَوْقَ عَيْنِي ...
وَرَائِحَةُ الْخَشَبِ الْمُنْطَفِيءِ
وَنَافِذَةٌ لَا تَرَى غَيْرَ دَرْبٍ وَحِيدٍ
قَدْ انْتَصَفَ اللَّيْلُ
مَا زَالَ ظِلِّي يَهِيمُ
عَلَى عَتَبَاتِ الْبِلَادِ الْقَدِيمَةِ

تَبَسَّمْتُ فِي رَاحَتِي الصَّبَاحُ
رِيَّاحٌ تُعَانِقُ "هَيْلَانَةَ" الْيَوْمِ فِي سِجْنِهَا
وَأَنَا شَبَّحُ الْمَوْتِ قَامَ
أَجْسُ جَمَاجِمَ مَعْرِفَتِي
أَمْتَطِي مُهْرَةً مِنْ سَرَابٍ ...
حَيَاتِي كَبُرْجٍ يَمِيلُ
وَتَزَعَقُ أَحْجَارُهُ،
شَرِقْتُ بِدَمْعِي

وَ كُلُّ الشُّمُوسِ الَّتِي ذُقْتُهَا
هَلْ سَتَحْرِقُنِي فِي كَوَائِسِهَا؟
هَلْ أَدَى بَصْرِي وَهَجُّ حَبْرِ الْكُتُبِ؟

قَوَارِيرُ تَمَثُّلِ صَامِتَةٍ
وَرُفُوفٌ عَلَيْهَا تَمَائِيلُ
زُجَاجَةٌ عِطْرٌ قَدِيمٌ
سَجَاجِيدٌ مُتْرَبَةٌ ...
وَجَمَاجِمٌ تَبْتَسِمُ الْآنَ لِي ...
سَادَتِي الْيَوْمَ حَيْرَنِي اللُّغْزُ،
صِرْتُ جَهُولًا بِأَصْلِي
وَعَرَّيْتُ نَفْسِي
أَمَامَ مَرَايَا الذُّهُولِ
حَلَلْتُ بِمَرْفَأٍ وَهَمِي الْعَتِيدِ
أَرَاقِبُ فُلُكًا مُحَطَّمَةً
تَحْتَ فَكِّ الصُّخُورِ
نَوَارِسُ تَرْمُقُنِي بِرَهَةٍ
ثُمَّ تَأْخُذُ فِي سَفَرٍ لِلْبَعِيدِ
تُرَى كَيْفَ تَبْزُغُ عَصْفُورَةُ الْمَوْتِ،

ثُمَّ تُغَرِّدُ

تَصْرُخُ

تَكْبُرُ

تُصْبِحُ رُخًا يَطِيرُ،

وَيَلْطِمُ مَرَكَبَنَا - قَبْلَ أَنْ تَلْمَسَ الْيَابِسَةَ

بِجَنَاحِ لَهَبٍ،

وَجَنَاحِ جَلِيدٍ

رَكَبْتُ الْحُصَانَ الْمُجَنِّحَ

فَوْقَ الْفِيَا فِي

كَتَبْتُ عَلَى السُّحْبِ الْعَابِرَةِ

أَنِّي قَدْ شَجَوْتُ ...

رَسَمْتُ ...

نَحَتُّ ...

رَقَصْتُ

أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ

رُبَّمَا قَدْ رَأَيْتُ؟

السَّمَاوَاتُ لَغَزُّ ...

سَكَرْتُ ...

هُوَيْتُ ...

نَسِيتُ كَلَامِي الْمُنْمَقَ،

وَاخْتَرْتُ غَيْبَوْبَةً

قَدْ هُوَيْتُ ...

ارْتَطَمْتُ ...

وَصِرْتُ حُرُوفًا مُبَعَثَرَةً ...

فِي صِيَاحِ الرِّيَاحِ

(أَصْحُو، أَنَا "فَاوَسْتُ" الْعَالِمِ، أَجِدُ تَابِعِي الْمِسْكِينَ يُدَلِّكُ جَبْهَتِي،

وَيَسْرُدُ بَرَنَاجِي الْيَوْمِي)

أَبْذُرُ أَسْئَلَتِي فَوْقَ جَبِينِ اللَّيْلِ

هَذِي اللَّيْلَةَ تَسْكُنُهَا أَشْبَاحِي

تَخْرُجُ مِنْ تَابُوتِ النِّسْيَانِ،

النَّارُ تُرَاقِصُ ظِلِّي،

أَشْهَدُ مِنْ نَافِذَتِي الْمَيْدَانَ

حَيْثُ النِّسْوَةُ يَضْحَكُنْ،

وَحَيْثُ رِجَالُ الْبَلَدَةِ فِي الْحَانَ

النِّزْوَةِ تَحْتَ الْأَسْمَالِ تَخَفَّتْ

وَأَنَا فِي هَذَا اللَّيْلِ

أَدَاعِبُ قَيْنَةَ سُمَّ

أَرْقُصُ حَتَّى تَدْمَى قَدَمَايَ،

وَتَجْحَظُ مِنِّي الْعَيْنَانُ

أَتَوَسَّلُ بِالْعَدَمِ ...

عَسَى أَنْ يُوجَدَ ..

أَسْمَعُ قِيثَارَتَهُ

أَهٍ ... لَوْ تُوَلَدُ نَفْسِي الْآنَ !

تَذُقُ نَوَاقِيسُ ...

فَأُبْكِي

اللَّهُ ... أُنَاجِي اللَّهَ ...

تُرَى هَذَا الْعَالَمُ

يَتَّسِعُ لِرُوحِي ...

أَيْنَ الضَّوْءُ وَأَيْنَ الظِّلُّ

هَذَا أَنْذَا أُنْعَرَى وَسَطَ الطُّوفَانِ

نَوَاقِيسُ الْكَوْنِ تُطَارِدُنِي

أَهٍ ... لَوْ تُوَلَدُ نَفْسِي الْآنَ

(مَا أَبَاسَ الْعَقْلَ إِذْ يَتَعَرَّى ، مَا أَبْهَتَ الشَّمْعَةَ وَقْتَ الظَّهيرة ، مَا أَبْرَدَ
الدمَ فِي الجسدِ المِيتِ)

أَتُوقُ لِأُغْنِيَتِي
أَنْ أُدَاعِبَ أَوْتَارَ قِيثَارَتِي ...
لِيُرَدِّدَ طَيْرُ الْحَقِيقَةِ دُنْدَنَتِي ...
وَأُغِيبُ لَعْلِي أَصِلُ
وَلَكِنْ صَمْتًا يُحِيْمُ
هَوَاءٌ ثَقِيلٌ يَحُطُّ عَلَيَّ مَاءِ لَحْنِي

وَأَهْبِطُ لِلسُّوقِ ...
أَسْمِلُ عَيْنِي بِخَطْوِ الْعَبِيدِ ...
سُبَابِ اللُّصُوصِ ...
وَضِحْكَةِ عَاهِرَةٍ

وَأَرَاهُمْ عَلَيَّ رَاحَةَ الشَّمْسِ وَقْتَ الضُّحَى
كَشَطَايَا غَرِينِ نَدِيٍّ
يُطَارِدُنِي فِي هُرُوبِي

وَأَحْلُمُ بِالْقُوَّةِ ...

الْبَرْقُ يَسْرِي بِصَدْرِي ...

يُكْهَرِبُ عَظْمِي

عَلَى رَأْسِ جَيْشٍ عَرَمَرَمٍ

أَصِيرُ شِهَابًا،

وَأَشْرَبُ كَأْسَ الْمَلَا حِمٍ

أَيِّمُّ شَرْقًا

أَيِّمُّ غَرْبًا

وَأَرْسِمُ لِلْكَوْنِ نَجْمًا جَدِيدًا

أَطِيرُ عَلَى مَدُنٍ مِنْ لُجَيْنٍ

وَأَرْفُلُ فِي حُلَّةٍ مِنْ دِمَقْسٍ

وَيَشْطُرُ سَيْفِي الْحُدُودَ

وَيُصْبِحُ خَلْقُ الْبِلَادِ ثِمَارًا

يَسِيلُ نَدَاهَا عَلَى رَاحَتِي ...

(هَلَّا فَتَحْتَ مِعْطَفَكَ يَا شَيْطَانِي الْأَوْحَدُ ... سَيِّدِي "مَفْسُتُوفِيلِسُ")

.. اسْقِنِي مِنْ كَأْسِ الْبِرَاءَةِ وَالشَّبَابِ، هَلَّا أَرَيْتَنِي وَهَجَ "هَيْلَانَةَ")

عَذْرَاءُ تُنَاجِي ظِلَّ غَدَائِرِهَا
يُعِينِنِي اللَّبَنُ ...
العَسَلُ ...

وَصَدْحُ الْبُلْبُلِ بَيْنَ يَدَيْهَا

أُرْسِلُ قُبَلَاتٍ مُتَعَبَةً
لِتُبَارِكَ كَرَزَ الشَّفَتَيْنِ
أَشْرِقُ فِي غَابَاتِكَ
وَأُدْسُ فَرَاشَاتِي

بَيْنَ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ ...

فَوْقَ أَنَامِلِكَ الْعَالَمُ يَتَّحِدُ ...

تُهَدِّدُ شَمْسٌ قَمَرًا،

حِينَ الْفَجْرِ الْأَبَدِيِّ ...

تَصْحُو أَنْجُمٌ فَوْقَ مَصَبِ النَّهْرِ ...

يُقِيمُ النُّورُ مِعْرَاجًا

بَيْنَ الْمَوْجِ وَبَيْنَ الْمُنَنِ ...

و"هَيْلَانَةٌ" تُقْبَلُ

تَسْرِي فِي خُصَلَاتِ الشَّعْرِ ...

تَحُلُّ بِعَيْنَيْكَ ...

تُغْنِي أُغْنِيَةً مِنْ إِيْقَاعِ الْقَلْبِ

وَتَلْمَعُ فِي أَحْيَاطِ الثَّوْبِ

فِيَا أَيَّتَهَا الطِّفْلَةَ

هَلْ يُنْجِنِي طَيْفِكَ

أَمْ يَقْتُلُنِي الشَّيْطَانُ

كَيْفَ تُعَدِّينَ الْأَعْوَامَ،

وَتَخْتَارِينَ رَبِيعًا

فِي عِيدِ الْمِيلَادِ ...

مَاذَا تَرْوِيهِ دِمَاءُ مُتَوَفِّزَةٍ فِي كَفِّكَ

لِشُمُوعِ تَرْقُصُ ذَاهِلَةً

فِي حَضْرَتِكَ

أَغِيبُ ...

تَهْفُ نَسَائِمُ ...

تَقْتَرِبُ جِنَانُ

فَلِمَاذَا لَمْ يَفْلِحْ دَهْرِي ...

إِلَّا فِي أَنْ يَزْرَعَ شَكًّا فِي مَقْبَرَتِي

مَا أَنْتِ ...

رَحِيقُ أُمِّ فِتْنَةٍ

مِعْرَاجُ أُمِّ وَهْدَةٍ

نَهْلَةٌ مَاءٍ ... أُمُّ طُوفَانٍ
أَسْئَلُهُ رَبِيعٍ تَجْمَعُنَا
أُمُّ نَبْحَاتِ شِتَاءٍ جَبَّارٍ ...
أَيْتَاهُ الرَّحْلَةُ
هَلْ يُنَجِّنِي طَيْفِكَ،
أُمُّ يَقْتُلُنِي الشَّيْطَانُ

(قَطَفْتُ تِلْكَ الزَّهْرَةَ لَيْلَةَ أَمْسٍ، جَاءَ الْوَلِيدُ مَسْنَحًا، لِأَنَّهُ مِنِّي،
وَبَيْنَمَا تُمَزِقُهَا أَيْدِي الْوَاشِينَ، كُنْتُ أَنَا أَهْرَبُ ...)

لَأَنَّكَ لَيْلَكَةٌ قَدْ سَمَوْتَ
قَطَفْتُكَ لَيْلَةَ أَمْسٍ
تَأْمَرَ ضَوْءُ النُّجُومِ،
وَزَفَّ الْمَسَاءَ الْكَثِيبَ،
حُشُودَ الْهُوَامِ ...
عَنَاكِبَ فَوْقَ دِثَارِكُ ...
جَرَادًا يَمُدُّ بُسَاطَ الصَّحَارِيِّ ...
مَسَافَاتٍ رُغْبٍ تُسَافِرُ ...
سَقْفًا مِنَ السُّحْبِ الْمُعْتَمَةِ ...

لَأَنَّكَ لَيْلَكَةٌ قَدْ حُرِقْتَ
وَصِرْتَ بِسَمْعِي نَحِيبَ الرَّمَادِ ...
بِكَفِّي .. سِيَاطَ الرَّحِيلِ
رَحَلْتُ ... رَحَلْتُ ... نَعَمْ
رَحَلْتُ، وَتَهْتُ عَنِ الْمَاءِ، ظِلُّ الْكُرُومِ ...
فَقَدْتُ نُجُومَكَ إِذْ أُرْتَحِلُ
وَتَاهَ الرُّعَاةُ بِدَمْعِي
رَحَلْتُ ... نَعَمْ
فَهَلْ تَذُبُلِينَ ...
تَمُوتِينَ فَوْقَ يَدَيَّ
وَتَنْزِفُ "هَيْلَانَةً" الْيَوْمَ فَوْقَ جِبَالِ الصُّعُودِ
تَمُدُّ يَدَيْهَا لِتَحْمِلَ طِفْلاً رَضِيعاً ...
قُبَيْلَ الرَّحِيلِ ...
تُرَى تَنْتَقِي مِنْ عَوَالِمِنَا زَادَهَا؟
تَنْتَقِي مِنْ بَحَارِ الْعَوَالِمِ
عَيْنًا أَلِيْقَةً؟
تُسَافِرُ فِيهَا لِعُمُقِ الزَّمَنِ
تُرَى ... تَنْتَقِي مِنْ نَخِيلِ الشَّوْاطِئِ

قَدًّا يَسِيرُ عَلَى فَرَحَةِ الْحُبِّ ...
"هيلانة" الْيَوْمَ تَمْنَحُنِي وَهَجَ إِكْلِيلِهَا،
وَتُسَافِرُ كَالطَّيْفِ ...
بَاحِثَةً عَنِ نُجُومِ بَعِيدَةٍ

(أُعْلِنُ جَبْرُوتِي الْقَادِمَ، أَنَا السَّاحِرُ الْأَعْظَمُ، عَصَايَ تُفَجِّرُ بِرَاكِينِ
الممالك)

مُنْفَرِدًا وَسَطَ الصَّخْرَاوَاتِ
مُنْفَرِدًا فَوْقَ بِلَادِي
تَتَعَالَى بِيَدَيَّ عَصَايَ،
وَيَنْبُتُ مِنْ جَذْرِ الْأَرْضِ،
وَسَطَ الْبَقْلِ وَيَبِينُ الْقِتَاءَ،
وَسَطَ نَجِيلِ الْفِطْرَةِ
وَنَخِيلِ الْمَعْرِفَةِ ...

يُقُومُ الْإِنْسَانُ الْأَعْلَى
فِي الْحَلْقِ تُرَابٌ
فِي الدَّمِّ الصَّلْصَالِ السَّاحِنِ
فِي الْعَيْنِ الْوَمِضَةِ

فِي الرُّوحِ السِّحْرِ ..
يَطِيرُ وَيَكْتَشِفُ السِّرَّ
وَيَفْقَهُ عَالَمَهُ بِالْحَقِّ
لِيَقْرَعَ طَبْلَ النُّورِ لِأَبَدِ الدَّهْرِ

مُنْفَرِدًا وَسَطَ الصَّحْرَاوَاتِ
مُنْفَرِدًا فَوْقَ بِلَادِي
الْمُلْكِ مَدَائِي،
وَمَدَائِي أَنَامِلُ ... تَحْمِلُ فُرْشَاةً
تَلْصِقُ شَمْسًا أَعْلَى اللُّوْحَةِ
سُفْنَا، وَبِحَارًا مِنْ لُؤْلُؤِ
بَقَرَاتٍ، وَسَنَابِلَ مُمْتَلِئَةً
أَبْدًا زَمَنًا
وَأَمْدُ الأَرْضِ بِسَاطًا
تَنْتَصِبُ مَوَائِدُ،
تَعْلُو النَّارُ

وَيَرْقَى النُّورُ

وَيَأْتِي الخَلْقَ

أَنْسَى العَدَمَ - ثَوَانٍ -

يَحْمِلْنِي النَّاسُ ...

وَنَعُدُّو فَرِحِينَ إِلَى الْمَشْرِقِ

حَيْثُ يَجِيءُ الْفَجْرُ ...

وَفَوْقَ يَدَيْهِ جَنِينِي ...

شَمْسِي الْطِفْلَةَ ...

لَكِنْ ...

(يزفر "مفستوفيلس"، الزمن يُفَرُّ مَجْنُونًا، وَالْكَوْنُ يَبْكِي، يُقْطَعُ
الْخَيْطُ الْمَشْدُودُ، النُّورُ وَالنَّارُ يَا "فَاوَسْت" هُمَا أَنْتِ ... يُمَزَّقَانِ
رُوحَكَ)

وَرَاءَ سَتَائِرِ نَافِذَتِي ...

طَائِرُ الْمَوْتِ حَطَّ الرَّحَالَ

بِعُيُونِ زُجَاجِيَةٍ يَتَمَلَّى الْمَدَى

وَبَصَمَتْ يُرْفَرُ ...

يَدْخُلُ ... تَسْكُنُ رِيحُ الْمَسَاءِ

وَأَهْوِي

أَنَا فَوْقَ أَرْجُوْحَةِ الْوَقْتِ ...

أَهْوِي ...

وَتَهْوِي نُجُومِي ...

نِيَازُكَ تَحْتَرِقُ ...

الشَّوْكَ يُحْضِنُنِي ...

وَالصُّرَاخُ يُجُوبُ الْمُرُوجَ
وَرُوحِي يُبَعِثُهَا مَطَرٌ دَاكِنٌ
وَالجَوَارِحُ تَرْمُقُنِي - إِذْ أُغْوَصُ ...
بُحَيْرَاتُ مَاءٍ نَتْنٍ ..
حَشَرَاتٌ تَسُدُّ الْأُفُقَ
أَسْتَعِيدُ بِصَوْتِي وَمُجْمَرَتِي
أَسْتَعِيدُ بِمَاسَةِ مَعْرِفَتِي
أَسْتَعِيدُ بِإِيقَاعِ قِيثَارَتِي
أَسْتَعِيدُ ... أَنَا ... !

(حينئذٍ فقط، تعرف نفسك، وتجد يدًا حانيةً تلمُّ أشلاءك)

لِتَخْرُجْ وَحِيدًا
كَنَهْرٍ يَمُوتُ ...
تَبَارَكَ رَبُّكَ إِذْ أْفَرَدَكَ
بِغَضَبَةٍ مَارِدٍ
وَوَجْهِ مَلَكٍ

حالاتُ الصَّحْرَاءِ

- ظمأ -

ظَمًا يَمُدُّ خِلالَ عِرْقِي رَأَيْتَهُ
ظَمًا يُعَرِّشُ كِيَّ يُلاقِي غَايَتَهُ
وَأَنَا عَلَى حَدِّ الظَّمَا
أَطْوِي الفِيافِي كِيَّ أُعَانِقَ آيَتَهُ

- سراب -

قال الدليل :
"لَمْ يَبْقَ إِلَّا فَرَسَخٌ
وَتُطِلُّ مِنْ دَمْعِي مَا ذُنُّ بُلْدَتِي"

- سهم -

هَيَّا أَنْطِقْ
كُنْ ... غَادِرٌ قَوْسَكَ
يَا ذَا السَّهْمِ الْجَيَّاشِ هَلُمْ
وَالنَّزْعَةَ فَاطْلِقْ
غَادِرٌ لِحِظَّتِكَ
وَكَنْ كَوْنًا
فَالْعُمُرُ مَدَى رَمِيَّةٍ
تَهْفُو لِلْمُطَلَقِ

- فرس -

أَمْسَحُ فَوْقَ النَّاصِيَةِ

نَاصِيَةٍ مَهْدِيَّةٍ وَهَادِيَةٍ

أَقُولُ لِلْخَيْلِ الَّتِي تُرَاقِصُ الْغُبَارَ

تَفْتَحُ بَوَابَ شَمْسٍ آتِيَةٍ

أَنْتِ السَّبِيلُ

وَعَايَتِي مُزْنُ الصَّهِيلِ

أَمْسَحُ فَوْقَ النَّاصِيَةِ

يَبْرِقُ لَوْنُ الصَّاعِقَةِ

بِبَدْءِ حَمْحَمَةٍ ...

أَمَامَ شُقَّةِ الْمَسِيرِ ...

تَهْدُرُ عَاتِيَةٍ

أَمْسَحُ فَوْقَ النَّاصِيَةِ

وَأَمْتَطِي أَرِيحَ هَذِي الْمَلْحَمَةِ

- بئر جاف -

هَجَعَتْ عَيْنُ الْبَيْرِ، اسْتَسَلَّمَ لِسَمَاءِ الْقَيْظِ ...
وَأَوْحَى لِي مَا أَوْحَى إِذْ يَنْفُثُ آخِرَ نَزْعِ بَفْرَاشِ
الطَّمِي النَّاشِفِ

"يَا وَلَدِي

يَا بَذْرَةَ تَيْنٍ فِي كَفِّ الرِّيحِ ... ارْحَلْ
هَذَا زَمَنٌ آخِرٌ

لَا يَرَوِي مِنْ ظَمًا إِلَّا بِالْمَاءِ الْمَالِحِ
لَا يُطْعِمُ مِنْ جُوعٍ إِلَّا بِالْحَنْظَلِ
لَا يَعْطُو فِيهِ عَلَى الْمُنْبَرِ إِلَّا الْغُلْمَانُ الْخِصْيَانُ
وَلَا يَحْمِلُ عَرْشَ إِلَهِ الشَّعْبِ سِوَى الْجِرْدَانِ
وَلَا يُعْطِي الْعَهْدَ سِوَى لِعَرِيبِ

يَسْحَلُ أُوتَارَ الرُّوحِ ...

يُعَكِّرُ مَاءَ الْكَلِمَاتِ إِذَا رَاقَتْ

وَإِذَا تَأَقَّتْ

لِلزَّمَنِ الْأَوَّلِ"

- شاعر -

فِي عُمُقِ دَارِكَ

كَانَ قَنَدِيلُ الْمَسَاءِ يَعْيشُ لَيْلَتَهُ الْأَخِيرَةَ ...

تَنْصُلُ الرُّمَحَ الْأَخِيرُ

يَعْلُو غَنَاؤُكَ ...

كُنْتَ وَحَدَّكَ تَنْذُرُ الْقُرْبَانِ لِلْكَلِمَاتِ ..

نَهْرًا مِنْ دِمَاكَ

وَصَرْخَةً تَحْدُو قَوَافِلَكَ الْأَسِيرَةَ

- طلل -

آبَ الرَّاحِلِ ... مَا أَحْلَاهُ
وَالشَّمْسُ تُفَارِقُ شَرْنَقَةَ الْيَوْمِ، تَعُودُ فَرَاشَةَ
تَتَنَفَّسُ فِي النِّصْفِ الْآخِرِ مِنْ أَرْضِ اللَّهِ
آبُ الرَّاحِلِ وَتَرَجَّلُ
كِي يَبْدَأُ قَصَّ وَجِيعَتِهِ
لِجِدَارٍ لَمْ يَنْظُرْ إِلَّا إِيَّاهُ

- خِيَامٌ مَضْرُوبَةٌ -

قَبَعَ الرَّعَاءُ وَجَاءَ لَيْلٌ دُونَ بَدْرِ
نَارٌ تَمَطَّتْ كَيْ تُزَيِّنَ حَتْفَهَا
وَسَطَ السَّمَاءِ الْبَارِدَةَ

.....

فَتَحْتُ قَلْبِي كَيْ أُنَادِمَ أُمْنِيَةَ
وَأَجُوسَ دَاخِلَ فَقْرٍ تَلِكِ الْبَادِيَةَ
وَأُسَائِلَ الرُّعْيَانَ : " مَنْ ؟
مَنْ مِنْكُمْ عَرَفَ الْمَسَاءَ
وَعَابَ فِي شَرَكِ الرِّمَالِ السَّاجِيَةِ
مَنْ مِنْكُمْ ضَجِرَ بِعَيْشَتِهِ هُنَا ؟
وَيُرِيدُ طَرْحَ قَدَى الْهُوَامِ عَنِ الْقَمَرِ "

- حُداء -

هَيَّا تَأَقْلَمُ دَاخِلِي
وَأَدْفَعُ مَوَائِقَ الْعُمُوضِ بِأَبْحُرِي الْمُتْرَامِيَّةِ
كَوْنِي مَرِيضٌ ...
فَانْطَلِقُ

وَأَثُقُ سَحَابًا رَاكِدًا
وَأَرْسُمُ عَلَى تُفَّاحَةِ التَّارِيخِ تِلْكَ الْآسِنَةَ
وَهَجًا لِعُرْبَتِنَا هُنَا
فَأَنَا الْوَحِيدُ وَأَنْتَ وَاحِدٌ لَيْلَتِي

حیند

إِذَا الطُّيُورُ بُعْثِرَتْ
وَوَاعَدَتْ أَعْشَاشَهَا وَهَاجَرَتْ
حِينَئِذٍ يُطِيبُ النَّدَى غُصُونِ شَجَرَةٍ
وَسَطِ القِفَارِ انْتَضَرَّتْ ...
فَرَحًا يَدُسُّ فِي الثِّمَارِ جَمْرَاتِ غُرْبَتِهِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ
وَكُسِرَتْ بَيَارِقُ الحَجِيجِ فِي الرِّيحِ ...
حِينَ صَدَّقُوا الرِّيحَ ...
أَنَّ نَجْمَةَ الشَّمَالِ فِي غَيْمَتِهَا قَدْ أُسِرَتْ
حِينَئِذٍ تَسِيرُ فِي الصَّحْرَاءِ مُوقِنًا
بِأَنَّ دَمْعَةً زَرَعَتْهَا فِي البَارِحَةِ
قَدْ أَزْهَرَتْ

إِذَا الشُّعُوبُ كُلُّهَا تَأَهَّبَتْ
لِتَرْكَبَ السَّفِينِ قَبْلَ غَرَقِ البِلَادِ ...
خَلْفَ أَعْوَرِ الزَّمَانِ ...
وَالْبِلَادُ أَقْفَرَتْ

إِذَا مَرَّاجِلُ السَّفِينِ أُسْعِرَتْ
وَمَا وَقُودُهَا سِوَى الشُّعُوبِ حِينَ احْتَضَرَتْ
حِينَئِذٍ سَتَقْبَلُ الْمَمَاتَ فِي الْخِضَمِّ
دُونَ عَيْشٍ وَالْحُدُودُ حُوصِرَتْ

إِذَا النُّجُومُ مِنْ عُلُوهَا هَوَتْ
أَذَابَ ضَوْءَهَا الشَّحِيحَ أَنْكَ مِنْ الظَّلامِ ...
وَأَرْتَضَتْ أَسْدَافَهَا وَأَنْكَدَرَتْ
حِينَئِذٍ تَسِيرُ فِي الظَّلامِ مُفْرَدًا ...
وَتُدْخِلُ الْبِلَادَ وَالْأَنَاسُ قَبْضَتَكَ
تَدْفِنُهَا ...

كَنْطَفَةٍ فِي رَحِمِ الْأَرْضِيِّينَ كُورَتْ

حالات الحدود

حالة - ١ -

رَضِيْعُهَا يُمَسِكُ رِيْشَةَ مُنَوَّرَةٍ
يَنْبِشُ حَائِطًا بِهَا
مُعَلِّمًا إِيَّاهُ آيَةَ الْكَفَنِ
وَكَيْفَ يَسْتَرِدُّ مِنْ قُمَاشِهِ الزَّمَنَ
.. وَنَاطِقًا بِمَهْدِهِ
بِكَلِمَاتٍ لَمْ يُحِسَّهَا كِتَابٌ
يَدْفِنُهَا الرِّضِيْعُ
بِحُفْرَةٍ صَغِيرَةٍ تَمْتَصُّ كُوبَ اللَّبَنِ الْمُعْطَّرَةَ

حالة - ٢ -

تُعَلِّقُ الْحُدُودُ فِي إِطَارِهَا الْوَحِيدُ
تُنَكِّسُ الْوُجُوهُ فِي طَرِيقِهَا الْمَسْدُودُ
تَجِيْشُ بِالْأَلْقِ
مَدَامِعُ الْأَرْقِ
وَتَحْشُدُ الدُّمُوعَ كَالْجُنُودُ

قَوَاطِعُ الفَمِ المَرَاوِغَةُ
تُمزَّقُ القُمَاشُ
يُلْفُهُ عِصَابَةٌ عَلَي جَبِينِ دُمَيْتِهِ
يُرَبِّتُ الدُّمِيَّةَ بُرْهَةً وَيَيْتَسِمُ
يَقُولُ : " هَكَذَا نَجَتْ أُمِّي مِنَ الصُّدَاعِ ،
دُمَيْتِي رَفِيقَتِي
حَوَائِطُ الخَنْدَقِ شُرْفَتِي
القَبْوُ مَا زَالَتْ بِهِ عَصَا أَبِي
وَمَا يَزَالُ فِي الهَوَاءِ مِسْكُهُ
وَالكُؤَةُ الَّتِي تُلُوحُ تِلْكَ كُؤَتِي
تَقُوتُ ضَوْءَهَا بِلُقْمَةِ الحَيْنِ "

حالة - ٤ -

عَلَى الطَّرِيقِ تَدْرُجُ السَّيَّارَةُ الْمُجَنَزَرَةَ
تَخْرُجُ مِنْ فُوَهَةِ الكَابُوسِ بِالتُّرُوسِ
وَتَلْفِظُ الجُنُودَ كَالصَّيْدِ
قَائِدُهُمْ يَخْطِرُ فِي المَيْدَانِ بِإِتِسَامَةٍ مُكَلَّلَةٍ
يُسْكِرُهُ الطُّغْيَانُ فِي أَرْضِ الظَّمِّ
رَائِحَةُ الدَّمَاءِ وَالْعَرَقِ ...
حِينَئِذٍ ...

وَفِي سُكُونٍ وَقَفَّتْهُ
يَنْفَلِقُ الضَّبَابُ عَنْ سَحَابَةٍ مُكَبَّلَةٍ

يَا هَدَاةَ الْقَبْرِ أَمَا زَالَ الْعَجُوزُ يَصْطَبِرُ
وَيَسْتَحِي مِنَ الْحَجْرِ
إِذْ يَرْتَقُ الْمَسَافَةَ الْبَيْضَاءَ بَيْنَ الْقَلْبِ وَالسَّاعِدِ
وَالْجَسَدِ الْعَائِدِ
يَا هَدَاةَ الْقَبْرِ عَلَى وَجْهِ الْعُبَارِ يَنْتَشِرُ
أَخْطُ مِنْ جَدِيدِ
دِيَاجَةَ لِالْأَرْقِ الْمُعَانِدِ
أَمْسُ صَدْرَ لَيْلِكِي ...
لِيَنْفَجِرُ ..
لِيَنْفَجِرُ

حالة - ٦ -

أَعْطَيْتَهُ بِطَاقَتِي ... يُّضَاءُ
أَعْطَانِي الْبَصْمَةَ
فَصَيْلَةَ الْجُرْحِ الْعَمِيقِ
وَدَمٌ تَوْقِيعِي يَسِيلُ بِالطَّرِيقِ

١٩٨٨

أغنية لريح ضالة

كَانَ الْغِنَاءُ وَكُنْتُ نَائِيًا
مِنْ نَزِيفِ الرُّوحِ يَرْتَجِفُ
لِضَمِيرِ نَهْرِ الْخَيْرِ وَالْأَرْضِ الْخَصِيبَةِ
لِمَرَآكِبِ الشَّمْسِ الَّتِي تَأَقَّتْ لِأَسْفَارِي
لِجَنَاحِ صَقْرٍ يَشْطُرُ الْأَفْقَ الْقَرِيبَ
وَيَنْتَمِي لِعَوَاصِفِ الرُّؤْيَا، لِرَايَاتِ انْتِحَارِي ...

مِنْ أَيِّ شَمْسٍ جِئْتَنِي
يَا ذَا الشُّعَاعِ الْمُرِّ مِثْلَ الدَّمْعِ - جِئْتَ
مَزَقْتَ أَسْمَالِي
أَخْمَدْتَ فَيْضَ الْمَاءِ بِالنَّارِ
وَتَرَكْتَ رَمْلَ الْخَوْفِ يَرْجُمُنِي
أَحَدٌ أَحَدٌ

مَا لِلْمَآذِنِ صَامِتَةً؟

وَعَرَارُ كُلِّ الْبَيْدِ مُنْكَسِرٌ
وَالشَّمْسُ جَامِدَةٌ ...

وَمَالِي !!

لَا أُفْقَ لِي غَيْرُ انْتِظَارِي
جَفَّ الْمِدَادُ وَلَمْ تَلِدْ أَرْجُوزَتِي فِي اللَّيْلِ صَاعِقَةً

جَفَّ الْمِدَادُ وَلَمْ يَزَلْ جُرْحُ الْقَصِيدِ
وَلَمْ تَزَلْ أُسْرَى جَنَاحِ الرِّيحِ عِقْبَانِي
لَا أُفْقَ لِي غَيْرُ انْتِظَارِي
هَذَا مَسَاءٌ لَانْكِسَارِي
لِهَوَاءِ قَبْرِ الذِّكْرِيَّاتِ السُّودِ إِذْ يُفْتَحُ
وَتُطَلُّ مِنْ بَابِ الْحَقِيقَةِ سَاحِرَاتُ اللَّيْلِ ...
وَالْبُومُ الْمُعَشَّشُ فِي جِدَارِي
هَذَا مَسَاءٌ حَيْثُ تَعْوِي الرِّيحُ فِي كَفِّي
وَيَنْكِرُنِي دِثَارِي
أَيُّ النَّوَافِدِ مُشْرَعَةٌ
وَبَأَيِّ دَرْبٍ أَبْتَدَيْتُ
وَلِمَنْ سَتَخْلُصُ خُطُوتِي الْحَرَّى عَلَى ثَارِ الْجِمَارِ
هَذَا أَنَا وَحَدِي ... وَمَيْدَانِي
وَطِفْلٌ فِي الْمَلَائِينَ الْكَسِيرَةِ
وَأَمْضُ الْعَيْنِينَ فِي بَحْرِ الرُّءُوسِ
وَدَمْعَةٌ كَالسَّرِّ فِي طُرُقِ الدُّخَانِ
وَكَلِمَةٌ سَكْرَى بِأَشْعَارِي

الأمير

- كَانَ "إِحْنَاثُونَ" وَحِيدًا فِي الصَّحْرَاءِ -

سَجْدَةٌ كَالسُّؤَالِ

أَمَشَرِقُ ذَاتِكَ

أُمُّ هِيَ مِرْأَتُكَ الْخَالِدَةَ

كَالْأَمِيرِ الْجَمِيلِ يَهْلُ عَلَيْنَا بِوَجْهِ الْخُلُودِ

قِطْعَةً مِنْ لُجَيْنٍ

وَنَحْنُ الْعَبِيدُ

تَبَارَكَ مَجْدُكَ،

سَوْفَ نَزِفُ الْقَرَايِينَ بَيْنَ يَدَيْكَ

إِذَا غَبْتَ نَحْفَظُ سَمْتَكَ،

نَعْلَمُ أَنَّكَ أَنْتَ بَهَاءُ السَّمَاءِ،

وَمُشْعِلُ تُرْبَتِنَا بِالْخُصُوبَةِ،

إِذْ تَسْتَوِي فِي قِبَابِ السَّمَاءِ كَتَّاجٍ،

وَنَعْلَمُ أَنَّكَ مُشْعِلُنَا

وَسَطَ هَذِي السَّرَادِيْبِ ...

أَنْتَ ضِيَاءُ السَّمَاءِ الْوَحِيدُ

جَعَلْتَ لِكُلِّ الْوُجُوهِ عِيُونًا

جَعَلْتَ لِتُرْبَتِنَا سَاعِدًا مِنْ مِيَاهِ
وَزَرَعًا يُلَوِّنُ أَيَّامَنَا تَحْتَ وَهَجِكَ
مَاذَا وَرَاءَكَ ...

مَشْرِقُ ذَاتِكَ / أُمُّ هِيَ صَيِّحَةٌ نُورٍ / بِلَحْنِ فَضَائِكَ
سَجْدَةٌ كَالسُّؤَالِ
تَدُورُ

يُشِعُّ الْجَنِينَ بِبَطْنِ الْحَبِيبَةِ
يَضْحَكُ حِينَ يَرَى الظُّلْمَاتِ
تَبُوحُ بِمَا كَانَ، مَا سَيَكُونُ
تَدُورُ

وَتَحْضُنُ فِي أُفُقِكَ الرَّحْبِ
وَحَشًّا وَطَيْرًا
مَلَائِكَةً يَنْصِتُونَ
وَإِنْسًا يُحَارُونَ
إِنْسًا يُمَارُونَ
إِنْسًا يَطِيرُونَ

كُلُّ بَدُونِكَ مُنْطَفِئٌ لَا يَرَى ...

وَسَطَ رَبِّبِ الْمُنُونِ

لِذَا سَوْفَ أَسْجُدُ
حَتَّى أَرَى مِنْ عَيْونِكَ أَصْلَ الْحَقِيقَةِ

١٩٩٤

مدى رمية

وَتَقْتُ فَوْقَ الْعَيْنِ يَا عَيْنِي عُرَى السَّحَبِ
وَدَخَلْتُ رَغَمَ الْقَلْبِ فِي تَرْتِيلَةِ النَّصَبِ
وَكَذَا فَتَحْتُ الْبَابَ بِالصَّدْرِ الْعَفِيِّ،
وَبِالْأَغَانِي كُلِّهَا تُنْبِي
تُنْبِي بِأَمْسَاخٍ مِنَ الْعُضْبِ ...
مَدَى رَمِيَّةٍ

تَهْزُ الدَّارَ نَحْوَ مَلِيكِنَا الْمَخْصِيِّ فَوْقَ الْعَرْشِ
نَحْوَ جِيُوشِهِ تَسْعَى إِلَى اللَّاشِيءِ لَاهِثَةً
وَتَحْتَ خِيُولِهَا قَلْبِي

مَدَى رَمِيَّةٍ

عَلَى الْمِيدَانِ

صَارَ الْفُلُّ قُنْبَلَةً

وَصَارَ حِكَايَةً جَذَلِي

حِكَايَةَ شَمْسِنَا بِالْبَابِ إِذْ تَسْرِي مِنَ الثَّقْبِ ...
إِلَى الْمَسْجُونِ أَوْحَتْ أَنْ خُذِ الْمِفْتَاحَ ...

..

قَالَ : "وَأَيْنَ؟ ..."

قَالَتْ : "إِنَّهُ هُوَ الْفَجْرُ الَّذِي يَحْبُو عَلَى الْعُشْبِ"

هَذَا الطَّرِيقُ شَطِيرَةٌ فِي سَلَّةِ الْغِيلَانِ ...
صِرْتُ سِدَادَةً تَغْلِي عَلَى قِنِينَةِ النَّسِيَانِ ...
صَارَ الشَّمْعُ تَعْزِيَةً
وَرَانَ الْقَلْبُ بِالْحَطَبِ

الرَّيْحُ تَعْصِفُ فِي مَرَايَا الرُّوحِ
كَلْبُ الشَّارِعِ السَّكَرَانُ يَنْهَشُ رَسْمَ أَقْدَامِي عَلَى الْأَسْفَلِ
حَوْلَ الْبَيْتِ بَرَكَةٌ مَائِنَا الْآسِنُ ...
وَدَاخِلَ حُجْرَتِي رَسْمٌ
بِعَرَضِ الْحَائِطِ الْوَاسِعِ
لِرِجْلِ أَبِي - حَدِيدِيَّةٌ -
وَنَعْلُ حِدَائِهِ جَدُولٌ ...
وَخُطُوتهُ هِيَ الدُّنْيَا،
رَحِيقُ قُرُونِنَا الْأُولَى
لِمَنْ سَيَجُوزُ بِالْإِطْلَاقِ كُلَّ تَفَاهَةِ الرُّتَبِ

شَعْبٌ بِلَا بَابٍ ...
وَأَيْدِيهِمْ بِلْبَابٍ
يُدْسُ جُذُورَهُ السَّرِيَّةَ الْحُلُوهَ

بِقَبْرِ الْأَرْضِ ...
كَيْ تَرْقَى مِنَ الْأَشْلَاءِ أَسْبَابِي
وَأَيْدِيهِمْ كَأَزْهَارٍ
تَنَامُ اللَّيْلَةَ الْأُولَى عَلَى كَفِّي
بَلَا بَابٍ
وَلَكِنْ يَمْلِكُونَ الْجِسْرَ - رُوحِي -
وَرَحْتُهُمْ عَلَى دَرْبِي

مَدَى رَمِيَّةٍ
بِصَحْرَائِي
بِهَا ذَاتِي
وَتَخْلُقُ لِي مَدَى لِلْآهَةِ الْكُبْرَى
لِفُورَاتِ الدَّمِ الْمَكْبُوتِ
لِحِظَةِ فَتْحِ قَبْرِ أَبِي

عن ليلى والليل

- قُبَيْلِ الْفَجْرِ -

(خَلِيلِيَّ إِنَّ بَانُوا بَلِيلِي فَقَرَّبَا
لِي النَّعْشَ وَالْأَكْفَانَ وَاسْتَغْفِرَا لِيَا)

فِي هَذَا اللَّيْلِ الْأَلِيلِ
تَأْتِي لِي لَيْلِي
لِتَحُلَّ جَدَائِلُهَا

وَتُرَاوِحَ بَيْنَ الصَّحْرَاءِ وَبَيْنَ جَنَانِ مَوْعُودَةٍ
مَا بَيْنَ اللَّيْلِ الْمُسْدَلِ وَصَبَاحِ بَسَامِ الثَّغْرِ
تَهْزُ جُدُوعَ الْأَشْجَارِ الْعَجْفَاءِ فَتَخْضَرُّ الْأُورَاقُ
تَنْوِي الْأَفْرُعُ بِثَمَارِ حُلُوةٍ
يَسَاقُطُ فَوْقَ يَدَيَّ جَنَاهَا

- ریح الصبا -

(فَإِنَّ الصَّبَا رِيحٌ إِذَا مَا تَنَسَّمتْ
عَلَى نَفْسٍ مَحْزُونٍ تَجَلَّتْ هُمُومُهَا)

يَا لَيْلَى
مَا أَحَلَى الحُلْمَ إِذَا جَاءَ
وَعَبَّقَ كُلَّ الأَرْجَاءِ
بَرِيحِ صَبَا أَوْ بِصَبَاءِ
مَا أَحَلَى المَاءَ قَرَا حَا يَتَنَزَّلُ بِشُقُوقِ الجَبَلِ الصَّلْدِ
عِيُونِكَ مَوْرِدُ قَافِلَتِي
رِي الصَّادِي فِي هِجْرَتِهِ عَبْرَ البَيْدَاءِ
مَوَائِدُ تُنْصَبُ لِلْفُقَرَاءِ
يَا لَيْلَى يَا طُوفَ الغَارِقِ فِي الدُّأْمَاءِ
كَأَنَّ دُمُوعَكَ مُزْنٌ تَتَكَثَّفُ بِوَعُودِ الغَيْثِ
وَطَيْرٌ يَمْلَأُ أَرْجَاءَ سَمَائِي

- نَفْخُ الرُّوحِ -

(تَعَلَّقْتُ لَيْلَى وَهِيَ غَرٌّْ صَغِيرَةٌ
وَلَمْ يَبْدُ لِلْأَثْرَابِ مِنْ ثَدِيهَا حَجْمٌ
صَغِيرَيْنِ نَرَعَى الْبَهْمَ يَا لَيْتَ أَنَّنَا
إِلَى الْيَوْمِ لَمْ نَكْبُرْ وَلَمْ تَكْبُرِ الْبَهْمُ)

كَانَتْ تَتَمَيَّسُ فِي صُحْبَةِ شَمْسٍ ضُحَاهَا
تَتَأَبَّطُ رِيحَ صَبَاها
تَجْرِي نَحْوَ الْحَيْمَةِ،
يَخْفَرُهَا الْوَهَجُ - فَيَطْمُسُ أَعْرَاضَ الرَّبْعِ -
فَلَا أَبْصُرُ إِلَّاهَا

تَبْتَسِمُ فَتَكْسِفُ نُورَ الشَّمْسِ
وَتَقْتَرِبُ فَتَسْكُنُ فِي الْأُفُقِ الرِّيحُ
وَيَجْمُدُ نَهْرُ الزَّمَنِ،
وَلَا يَبْقَى إِلَّا عَزْفُ النَّبْضِ بِجَوْفِي،
وَمُنَاجَاتِي إِيَّاهَا
تُسْكِرُنِي الْبَسْمَةَ
حَتَّى يُوَلِّدَ مِنْ رَحِمِ الصَّمْتِ الشُّعْرُ

وَتَصْرَعُنِي الْكَلِمَاتُ ...

أَتُوقُ إِلَى لَمْسَةِ يَدِهَا ...

جَمْرَةَ شَفْتَيْهَا وَجَنَاهَا

مَا أَنَّى أَخِيلَةَ الْمَاءِ

وَمَا أَشْقَى ظَمًا الْمَجْنُونِ ...

يَفِيقُ فَلَا يُبْصِرُ إِلَّا الْكُتُبَانَ تُحَاصِرُهُ وَمَدَاهَا

- البوح -

(وَإِنِّي لِأَخْشَى أَنْ أَمُوتَ فُجَاءَةً
وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ إِلَيْكَ كَمَا هِيَ
وَإِنِّي لَيْنَسِينِي لِقَاؤُكَ كُلَّمَا
لَقَيْتُكَ يَوْمًا أَنْ أَبُتُّكَ مَا بِيَا)

لَكُمْ وَدَدْتُ أَنْ أَقُولَهَا
مُشْرِقَةً كَقَطْرَةٍ مِنَ النَّدى
خَفَاقَةً كَطَائِرٍ يَسْتَشْرِفُ الْمدى
طَاهِرَةً كَمَطَرٍ يَهْزُ تُرْبَةَ الْأَرْضِينَ مُجَدِّدًا
لَكُمْ وَدَدْتُ حِينَ دَبَّ رُوحَهَا فِي جَسَدِي
وَأَنْعَرَزَتْ حُرُوفُهَا بِسَاعِدِي
وَصَارَ حَبْرُهَا دَمِي
أَلَا تَضِيعُ فِي الظَّلَامِ كَالرُّؤَى سُدًى
وَأَنْ يَصِيرَ حُبْنَا

دَرْبًا لِكُلِّ الْعَاشِقِينَ، وَطَنًا، وَمَقْصِدًا

حُدَاءَ رِحْلَةٍ بِلَا نِهَآيَةٍ
قَافِلَةً تَسِيرُ نَحْوَ وَاحَةٍ بَعِيدَةٍ بَعِيدَةٍ
كُلُّ يَدٍ مُمْسِكَةٌ يَدًا

- الداءُ والدواءُ -

(كِلَانَا مُظْهِرٌ لِلنَّاسِ بُغْضًا
وَكَلُّنَا عِنْدَ صَاحِبِهِ مَكِينٌ
تُبَلِّغُنَا الْعُيُونَ بِمَا أَرَدْنَا
وَفِي الْقَلْبَيْنِ ثَمَّ هَوَى دَفِينٌ)

وَسَافَرْتُ بَعِيدًا عَنْ نَخْلِ رُؤَاكِ
وَعَاوَدْتُ، رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي
فَوَجَدْتُ النَّصْلَ الْأَبْدِيَّ الْمَشْحُودَ بِقَلْبِي مِنْ ذِكْرَاكِ
وَذَهَبْتُ لِأَلْفِ نَطَاسِي
لَكِنَّ جُرُوحِي لَمْ تَبْرَأْ
قِيلَ الدَّاءُ مَكِينٌ لَا يَشْفِيهِ سِوَى لُقْيَاكِ
وَلَيْسَ لِجَبْرِ ضُلُوعِكَ غَيْرُ الضَّمَّةِ،
لَيْسَ لِحُمَاكِ الْمَجْهُولَةِ إِلَّا تَرِيَاقُ الشَّفَتَيْنِ
وَلَيْسَ لِغُرْبَتِكَ الرَّعْنَاءِ سِوَى دَارِ الْمَحْبُوبِ
وَلَيْسَ لِتَرْحَالِي إِلَّا أَرْضُكَ وَسَمَاؤُكَ

- فِي مَاهِيَةِ الْجَنُونِ -

(قَالَتْ جُنْتُ عَلَى أَيِّشٍ فَقُلْتُ لَهَا
الْحُبُّ أَعْظَمُ مِمَّا بِالْمَجَانِينِ
الْحُبُّ لَيْسَ يُفِيقُ الدَّهْرَ صَاحِبُهُ
وَإِنَّمَا يُصْرَعُ الْمَجْنُونُ فِي الْحِينِ)

لَيْسَ جُنُونًا إِنَّمَا فَيْضٌ مِنَ النُّورِ الْبَعِيدِ
وَالكَلِمَاتُ فِي مَخَاضِ الشَّعْرِ فِي الْمَهْدِ الْجَدِيدِ
كَمْ ضَاعَ مِنِّي الْعُمْرُ فِي لَعْوٍ شَرِيدِ
فَهَلْ إِذَا عَرَفْتُ سِرِّي،
وَأَبْتَدَا فِي الْأُفُقِ إِيقَاعُ النَّشِيدِ،
صِرْتُ مَجْنُونًا وَمَاتَ الطِّفْلُ فِي اللَّيْلِ الْبَلِيدِ،
الْبِيدُ تَطْوِي الْبِيدَ، وَالْإِيْقَاعُ يَهْدِينِي
أَدْلَجْتُ حَتَّى ضَاعَ مِنِّي النَّجْمُ، وَالتَّرْحَالُ يُضْنِينِي،
وَلَيْسَ لِي سِوَى نَارِ الْقَصِيدِ

- أرى ما لا ترون -

(فَقُلْتُ لَهُ بَلْ نَارَ لَيْلَى تَوَقَّدَتْ
بِعَلِيَا تَسَامَى ضَوْءَهَا فَبَدَا لِيَا)

تَمْتَدُّ الْبَيْدُ
يَسُودُ عَلَى الْأُفُقِ سَرَابُ الظَّمَايِ،
وَأَحْلُ عَلَى أَعْتَابِ الْوَادِي الْمَحْزُونِ
سَحَابٌ وَنُجُومٌ تَبْرُكُ فَوْقَ مَنَاخِ مَطَايَايِ
وَاللَّيْلِ حَزِينٌ سَاجٍ
وَهَوَاءُ اللَّيْلِ بِصَدْرِي يَتَجَمَّدُ
هَلْ حَقًّا أَنِّي الْمَجْنُونُ،
وَأَنِّي اخْتَرْتُ النَّجْمَ الْأَبْعَدَ
أَمْ أَنَّ السَّادَةَ لَا يَحْتَمِلُونَ الْحُبَّ
يَرُونَ دُمُوعِي تَشْبِيًّا،
وَخُشُوعِي فِي هَذَا الْمِحْرَابِ صَبُوءًا،
وَأَنِّي فِي جَوْفِ اللَّيْلِ طُقُوسًا لِلْسِحْرِ الْأَسْوَدِ

- الوشاة -

(أَلَا أَيُّهَا الْقَوْمُ الَّذِينَ وَشَوْا بِنَا
عَلَىٰ غَيْرِ مَا تَقْوَىٰ إِلَٰهَ وَلَا بَرًّا
أَلَا يَنْهَكُمُ عَنَّا تُقَاكُمُ فَتَنَّتَهُوَا
أَمْ أَنْتُمْ أُنَاسٌ قَدْ جُبِلْتُمْ عَلَىٰ الْكُفْرِ)

رَبِّ اغْفِرْ لِلْجُهَلَاءِ أَقَاوِيلَ الْإِفْكِ
تَجَاوَزْ عَمَّنْ أَرْجَفَ
وَأَمَحْ بِفَضْلِكَ مَا اقْتَرَفَ بِحَقِّ الْحُبِّ الْعُذْرِيَّ
لَعَلَّ قُلُوبًا جَرْدَاءَ تَلِينُ وَتَرْتَجِفُ
إِنْ عَرَفُوا مَا أَعْرَفُ
إِنْ عَرَفُوا
إِنْ ذَاقُوا نَارَ الْقُرْبِ، بِوَهْجِ الطُّهْرِ أَنْصَهُرُوا وَائْتَلَفُوا
أَوْ وَخَزَتْهُمْ أَشْوَاكُ وَرُودِهِ
أَوْ طَعَمُوا سَكْرَةَ خَمْرِ الْأَنْهَارِ بِجَنَّتِهِ السَّرِّيَّةِ
وَبِأَيْدِيهِمْ مِنْ بَرْدِ الْأَحْلَامِ اغْتَرَفُوا
إِنْ جَافَاهُمْ مَضْجَعُهُمْ،

فَتَحُوا الكُوَّةَ فِي عُمُقِ اللَّيْلِ الغَافِي
تَرَكَوا الأَسْتَارَ تَزُولُ
وَكلُّ سَمَاءٍ فَوْقَ الأُخْرَى تَنكشِفُ

- باب في عدد المجانين -

(عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَعْرَابِيًّا عَنِ الْمَجْنُونِ الْعَامِرِيِّ فَقَالَ: عَنْ
أَيِّهِمْ تَسْأَلُنِي؟ فَقَدْ كَانَ فِيْنَا جَمَاعَةٌ رُمُوا بِالْجُنُونِ، فَعَنْ أَيِّهِمْ تَسْأَلُ؟
فَقُلْتُ: عَنْ الَّذِي كَانَ يُشَبَّبُ بِلَيْلِي، فَقَالَ: كُلُّهُمْ كَانَ يُشَبَّبُ
بِلَيْلِي)

هُم كَثُرُ

هَامُوا فِي أَرْضِكَ

وَأَفْتَرَشُوا ظِلَّ عِيُونِكَ

دَمْعُكَ أَجْرَى نَهْرًا، أَوْدِيَّةً، وَمَوَاسِمَ حِصْبٍ

وَالثَّغْرُ الْمُتَبَسِّمُ شَمْسٌ تُنْضِجُ أَحْلَامًا وَحُقُولًا

وَالْكُحْلُ وَصَبْغُ الْحِنَاءِ عَلَى الْوُدْيَانِ غَرِينٌ فَتَّانٌ

فَتَشَبَّثَ بِالْأَرْضِ الْمَفْتُونُونَ

مَضُوا يُلْقُونَ بُدُورَ الْعِشْقِ وَيَنْتَظِرُونَ حِصَادَ الْعُمْرِ وَيَصْطَبِرُونَ

عَلَى الْغُرَبَانِ وَأَسْرَابِ جَرَادٍ تَتَحَفَّرُ حَوْلَكَ

إِنْ ضَاعَ وَمِيضُ الْعُمْرِ فَعَنْ عِشْقِكَ لَا يَتَخَلُّونَ،

بِحُلْمِ الثَّمَرَاتِ الرِّيَّانَةِ يَتَعَزُّونَ،

بِمَاءِ الطُّهْرِ بِنَهْرِكَ يَغْتَسِلُونَ،

يُزْفُونَ فَرَاشَاتِ الْفَرَحِ بَلِيلِ الْقَهْرِ تَجَاهَ الْأَنْجُمِ
ثُمَّ يَخْرُونَ إِلَى الْأَذْقَانِ وَيَبْتَهَلُونَ

- نزييف الفقد -

(ودخلوا إليها فقالوا: والله لعن لَمَ تختاري وردًا لُنْمَثَنَّ بِكَ، فقال
المجنون:

أَلَا يَا لَيْلُ إِنَّ مُلْكُتِ فِينَا
خِيَارِكِ فَاظْطَرِي لِمَنْ الْخِيَارُ
وَلَا تَسْتَبْدِلِي مِنِّي دُنِيًّا
وَلَا بَرِّمًا إِذَا حُبَّ الْقُتَارُ
يُهْرُولُ فِي الصَّغِيرِ إِذَا رَأَهُ
وَتُعْجِزُهُ مُلِمَّاتُ كِبَارُ
فَمِثْلُ تَأْيِمٍ مِنْهُ نِكَاحُ
وَمِثْلُ تَمْوُلٍ مِنْهُ افْتِقَارُ
فَاخْتَارَتْ وَرَدًّا فَتَزَوَّجَتْهُ عَلَى كَرِّهِ مِنْهَا)

وَتُزْفِينِ إِلَى الْمَجْهُولِ،
سَبَّأكِ اللَّيْلُ، وَطَوَّقَ خَصْرِيكِ الْجَهْلُ،
كَأَنَّكَ تُغْتَصَبِينَ بِعِلْمِ الْأَهْلِ،
وَتَلْتَفِينِ بِثَوْبِ الذُّلِّ
فَوَيْلٌ الْعَثْرَةَ، وَيْلٌ الْآتِي مِنْ أَيَّامِي

صَوَّرْتُ لِنَفْسِي مَهْرَكَ دَمْعِي وَدَمِي
وَهَدِيَةَ عُرْسِكَ تَاجًا مِنْ قَوْلِي
نَخْبِكَ خَمْرَةَ رُوحِي
وَمَقَامَكَ حَلِيٍّ، وَعُيُونَكَ مُرْتَحَلِي
فَلَا أُبْصِرُ بَعْدَ الْحُلْمِ سِوَى أُخَيْلَةِ الْآلِ،
احْتَرَقْتُ وَاحَاتِي، وَقَصِيدِي أَصْبَحَ صَبَّارًا مُمْتَدًّا
لَا يَطْرَحُ ثَمْرًا، أَوْ يُنْعَمُ بِالظِّلِّ

- للجبلِ أصد -

(وَأَجْهَشْتُ لِلتُّوبَادِ حِينَ رَأَيْتُهُ
وَكَبَّرَ لِلرَّحْمَنِ حِينَ رَأَيْتَنِي
وَأَذْرَيْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ لَمَّا عَرَفْتُهُ
وَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ فَدَعَانِي)

مَنْ يُؤْنِسُنِي يَا رَبِّي
أَنْفَضَ الْمُسْتَمْعُونَ، وَصِرْتُ غَرِيبًا فِي سِرِّي
بِالْأَمْسِ طَوَيْتُ شِرَاعَ الْحُزْنِ أَمَامَ الْكَعْبَةِ
صَلَّيْتُ، وَنَاجَيْتُ،
عَسَى أَنْ تَلْقَى رُوحَكَ رُوحِي فِي سِتْرِ مِنْ أَسْتَارِ الْغَيْبِ

وَالْيَوْمَ أَجِدُ السَّيْرَ إِلَى التُّوبَادِ
وَأَصْعَدُ
أَقْبَسُ شُعْلَةَ نُورٍ مِنْ أَعْلَاهُ
لَا يُبْصِرُهَا أَحَدٌ غَيْرِي،

أَغْرِسُهَا فِي قَلْبِي
أَصْرُخُ فِي الْبَرِيَّةِ
مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي شُعْلَةَ حُبِّي
لِتُضِيءَ ظِلَامَ الْعَالَمِ، وَتُبَيِّنَ مَا انْطَمَسَ مِنَ الدَّرْبِ

أكتوبر ٢٠٠٦

المحتويات

٣	غرناطة
٦	ظلٌ و شمس
١٥	دورة الشمس
٢٦	الخضر
٣٠	براقٌ وصخرةٌ مطمورة
٣٥	بعد الطوفان
٣٨	الرؤيا
٤٠	فطام
٤٣	وتبقى سنبلَةٌ أخيرة
٤٨	وصية
٥٢	أحمل جمرة الحياة
٦٩	حالات الصحراء
٧٨	حينئذٍ
٨١	حالات الحدود
٨٧	أغنيةٌ لريح ضالة
٩٠	الأمير
٩٤	مدى رمية
٩٨	عن ليلي و الليل